الجمهوريّـة الجزائريـّة الديمقراطيـّة الشعبيـّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
المركـز الجامعـي بالـوادي

معهـد العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: التاريخ

الدور الحضاري لوارجلان

بين القرنين الرابع والسادس الهجريين

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعـــداد الطالبـات:
- بـدرة طبـة
- ليندة خروبي
- هيام الشعوبي

إشـــراف الأســـتاذ:
مبارك جعفري

لجنة المناقشة:

1. أ/ رضـــوان شافـــو رئيسًا
2. أ/ مبارك جعفري مشرفًا ومقررًا
3. أ/ لخضر عواريب مناقشًا

السنة الجامعية: 1431-1432هـ / 2010-2011 م

شكر وعرفان

نحمد الله عز وجل حمدا كثيرا ونثني عليه الثناء الأكبر لإعانتنا على تخطي الصعاب وإنجاز هذا العمل.

ولأن شكر العبد من شكر الرب

نتقدم لأستاذنا المشرف مبارك جعفري بالشكر الجزيل على نصائحه، وإرشاداته، كما نخص بالذكر الأستاذ أحمد ذكار الذي نتقدم له بالشكر الجزيل على كل المساعدات التي قدمها، واستقباله لنا بصدر رحب، و لكل من الأستاذ بالحاج ناصرو عمار غرائسة، متمنين لهم المزيد من النجاحات العلمية، وكما نتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى

- الأخ أبو معقل سليمان بمركز المجاهدين بورقلة .
- جمعية التراث غرداية.
- جمعية القصر بورقلة.
- مكتبة سيدي سالم بالوادي.
- كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد، دون أن ننسى طاقم مكتب المميزون للإعلام الآلي والأنترنت.

إهداء

إلى نبع الحنان التي وهبت عمرها لي وأبعدت المصاعب عن طريقي بفضل دعائها، نبض قلبي أمي الحبيبة (عائشة)
إلى من شقي لأسعد وقاسى الكثير لأجلي وعلمني أن الحياة كفاح وصبر، قرة عيني أبي الغالي (محمود)
أطال الله في عمرهما
إلى الشموع التي أضاءت دربي وكانت لي سندا في الحياة، إخوتي:
عبد الرحمن، عامر، صالح، محمد العيد
أخواتي: فاطمة الزهراء، حفصية، سميرة.
كما لا أنسى أبناءهم .. حفظهم الله
إلى من تقاسمتا معي الجهد في انجاز هذا العمل: هيام، بدرة
إلى من كنّ الأهل في غربتي والمؤنس في وحشتي (B_8): حنان، لويزة، فطيمة، منية.
إلى كل من علمني حرفا بمعهد العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم تاريخ.
إلى كل من وسعه قلبي ولم يسعه قلمي
إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة
جهدي

لينده

إهداء

إلى صدر حنون احتواني، وقلب شغوف رعاني، إلى من يعجز اللسان عن وصفها .. أمي الحنون

إلى من سهر الليالي، وجال الصحاري وأفنى عمره في سبيل نجاحنا، إلى نبراس حياتي .. أبي الحنون

إلى أخواتي اللواتي شاطرنني سلم النجاح: سهيلة، حسينة، الزهرة، نجوى، خولة.

إلى نور عيني عبد الرؤوف وإلياس

إلى ريان، بسمة، محمد أمين، ملاك، زين العابدين، محمد أنس، زهرة ...

إلى من كان لهم الفضل الكبير في إخراج هذا العمل إلى النور B_8 -A_{16}

إلى كل زملائي وزميلاتي بثانوية مفدي زكرياء بتماسين

إلى من تقاسمنا الجهد والعمل ليندة وبدرة

إلى كل من وسعه قلبي ولم يسعه قلمي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة نجاحي راجية من العلي القدير ان يبارك فيها وأن تكون بداية مشوار دراسي مقبل بحول الله

هيام

إهداء

إلى من قال فيها الرحمن:﴿ وبالوالدين إحسانا﴾

إلا من حملتني وهنا على وهن وأعطتني الكثير من دعائها وكانت مفتاح نجاحي، إلى من لا تزال روحها تسكن قلبي أمي رحمها الله.

إلى الرجل الذي أفنى حياته في سبيل تعليمي وسعى دائما لدفعي إلى الأمام، إلى الذي رعاني ورباني وعلمني بأن العلم سلاح .. أبي الغالي.

إلى من كانت سندي في مشواري أم زيد

إلى من ترعرت معهم وتقاسمت معهم شطر الحياة حلوها ومرها، أخواتي وإخوتي

إلى من قاسموني دفء الغرفة وحنانها

إلى من رافقوني في مشواري الدراسي وشاركوني في العمل: ليندة، هيام.

إلى من علمني حرفا من الطور الإبتدائي إلى الطور الجامعي

إلى كل من حفظهم قلبي ونسيهم قلمي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

بدرة

مقدمـة

عرفت بلاد المغرب في ظل الوجود الإسلامي أهمية حضارية واسعة، ساهمت فيها العديد من الحواضر والمراكز، والتي رغم قساوة طبيعتها الصحراوية استطاعت أن تجد لنفسها مكانة بارزة، ومن بين أهم تلك الحواضر وارجلان باعتبارها بوابة الصحراء، ووريثة الحضارة التيهرتية خاصة بعد القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي، وهو موضوع دراستنا التي اخترنا لها العنوان التالي : الدور الحضاري لوارجلان بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، العاشر و الثاني عشر الميلاديين.

ولقد كان اختيارنا لهذا الموضوع لدواعي مختلفة نذكر منها:

- الرغبة في البحث والاطلاع على الموروث الحضاري الصحراوي، وعلى الأخص منطقة وارجلان، كوننا أبناؤها، مبرزين بذلك ما كان لها من مساهمة اقتصادية وفكرية هامة.
- محاولة الإسهام ولو بالقليل في كتابة تاريخ منطقتنا.

ولمعالجة هذا الموضوع تناولنا الإشكالية الأتية :

ما هو الدور الحضاري الذي ساهمت به وارجلان في بلاد المغرب الإسلامي، وما هي أبرز سماته خلال العصر الوسيط ؟ .

وتفرعت عنها عدة تساؤلات فرعية تمثلت في:

ما هي أهم العوامل التي لعبت الدور الأكبر ف ي بروزها كإحدى الحواضر الصحراوية ؟ .

وهل استطاعت أن تجسد وتعبر عن عمق التأثير الفكري والحضاري بعد سقوط الدولة الرستمية ؟ .

ولقد اتبعنا في أثناء طرحنا لهذا الموضوع المنهج التاريخي الوصفي الملائم لسرد الحقائق، مع بعض التحليل متى احتاجت الضرورة لذلك.

ولدراسة الموضوع ومعرفة حيثياته اتبعنا الخطة التالية :

حيث قسمنا البحث إلى مقدمة عرفنا فيها بالموضوع وأربعة فصول مسبوقة بفصل تمهيدي الذي أردنا من خلاله وضع القارئ في إطار الموضوع، حيث تناولنا فيه أصل التسمية ثم دراسة طبيعية تعرضنا فيها للموقع وأهم ما ميز المنطقة من تضاريس، ثم انتقلنا إلى نقطة أخرى تناولنا فيها الدراسة التاريخية من حيث تأسيس الحاضرة وأوضاعها السياسية، ويلي هذا الفصل التمهيدي الفصل الأول بعنوان الحياة الاقتصادية لوارجلان، وقد احتوى على ثلاثة مباحث درسنا في المبحث الأول الزراعة متطرقين لأهم المنتجات الزراعية، أما المبحث الثاني فقد عرجنا فيه على الصناعة مبرزين إبداع الإنسان الوارجلاني رغم بساطة ما بيده من مادة أولية، وفي المبحث الأخير تناولنا التجارة متعرضين لأهم السلع الصادرة، والواردة، وأهم الأسواق، والطرق التجارية، والقوافل التي تمر بها.

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد خصصناه للحياة الاجتماعية بوارجلان وهو بدوره ينقسم إلى ثلاثة مباحث أيضا، الأول تعرضنا فيه للمجتمع وفئاته من حيث السكان وأهم الفئات الاجتماعية، أما المبحث الثاني فقد كان للعادات والتقاليد متعرضين إلى المأكل والملبس ودور المرأة، وبعض المعتقدات، وفي المبحث الأخير تعرضنا إلى التركيبة العمرانية من الحواضر، والقصور، والمساجد، والمنازل...

والفصل الثالث بعنوان الحياة الفكرية لوارجلان، الذي تم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى تطور الحركة العلمية بوارجلان متعرضين إلى نظام العزابة من حيث تأسيسها وشروطها ومهامها، أما المبحث الثاني فكانت عن النظام التربوي للعزابة المتمثل في النظام الهيكلي والنظام الداخلي للحلقة، وخصصنا المبحث الثالث للمؤسسات التعليمية ثم أهم العلماء والعلوم.

أما الخاتمة فقد رصدنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

وبعد الخاتمة حاولنا تغذية بحثنا بمجموعة من الملاحق ذات الصلة بالموضوع.

وفي الأخير ضبطنا المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، وبعدها الفهرسة المتعلقة بالبحث.

أما عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها فهي كالآتي :

ففيما يخص المصادر اعتمدنا على كتاب طبقات المشائخ في المغرب لصاحبه أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني بجزئية، ساعدنا الجزء الأول في ضبط مفهوم العزابة وأنظمتها التربوية، أما الجزء الثاني منه فقد اعتمدناه لاستخلاص وتحليل الجوانب الاجتماعية من خلال سرده لطبقات المشائخ من حيث تعاملاتهم اليومية، ومخطوط سير أبي عمار لصاحبه أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني، الذي أخص فيه جزء كبير لتوضيح العزابة وشروطها وكذا التعاملات، ومن بين المصادر كذلك كتاب العبر لابن خلدون وبخاصة المجلد السابع منه الذي أفادنا كثيرا في دراستنا للبربر وأهم القبائل البربرية، واعتمدنا على مخطوط غصن البان للشيخ أعزام، والذي تناول منطقة وارجلان بدراسة وافية.

أما عن أهم المراجع فقد اعتمدنا اعتمادا كبيرا على كتاب الإباضية في بلاد المغرب لمسعود مزهودي الذي تناول مدينة وارجلان، وسدراته بإسهاب كبير، ساعدنا على فهم الموضوع.

بالإضافة إلى كتاب نظام العزابة عند الإباضية الوهابية في جربة لفرحات الجعبيري الذي استفدنا منه للحياة العلمية عند إباضية المغرب، وكتابي التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، والنظم الاجتماعية والتربوية في أفريقية في مرحلة الكتمان لعوض خليفات.

بالاضافة البعض الدراسات الأجنبية مثل :

Jean Lethielleux, Ouargla cité saharienne des orinesau debut de XXémé siécle, Paris 1983.

Larjeau (v), Le pays de rirha Ouargla, Paris 1879.

أما بالنسبة للدوريات فقد اعتمدنا على مجلة الأصالة خاصة منها العدد 41، الذي احتوى مجموعة من المقالات الهامة عن تاريخ وارجلان من الفترة الرومانية حتى الفترة العثمانية.

ولقد سبقنا في البحث لهذا الموضوع مجموعة من المذكرات الجامعية على رأسها مذكرة قدمها الأستاذ عمار غرائسة عن المدينة الدولة وارجلان أنموذجا، إضافة إلى عمر سليمان بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان 296هـ 626هـ و 909م، 1029م، وأحمد ذكار: حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1000هـ إلى 1301هـ/ 1591م إلى 1883م.

وكأي مبتدئ في طريق البحث واجهتنا مجموعة من الصعوبات والتي نذكر منها:

- ندرة إن لم نقل عدم توفر مصادر ومراجع تعرضت لمنطقة وارجلان قبل التأريخ الإباضي لها، الأمر الذي جعلنا نعتمد على المصادر الإباضية بصورة مطلقة.
- صعوبة التعامل مع المخطوطات المتحصل عليها رغم القيمة العلمية لها.
- اختلاف المصادر والمراجع في العديد من الأحداث التاريخية.
- الصعوبة في التوازن مابين الفصول، ذلك أن غالبية المصادر التي تناولت هده الفترة اهتمت بالجانب الفكري دون التعرض إلى الجوانب الأخرى، إلا ما ذكر في طيات الكلام.

وفي الأخير نتقدم بالشكر لكل من أتاح لنا فرصة العمل في هذا الموضوع ونخص بالذكر الأستاذ المشرف أمبارك جعفري الذي كان له الفضل في توجيهنا وإرشادنا بتعليماته ونصائحه كمالا ننسى الأستاذ ذكار الذي لم يبخل علينا بمعلوماته.

الفصل التمهيدي

وارجلان دراسة طبيعية وتاريخية

* أصل التسمية.

* دراسة طبيعية.

* دراسة تاريخية.

*** أصل التسمية:**

تجمع المصادر والمراجع على أن المنطقة لم يرد ذكر اسمها صراحة دون كناية، إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد، على لسان من أرخو للدولة الرستمية، وما جاورها من حواضر،أما ما قبل ذلك من التاريخ القديم إلى غاية الفتوحات الإسلامية فإنه لم يرد لها ذكر بأي شكل من الأشكال، وكل ما ذكر عنها مجرد تلميحات للشعوب التي قطنت حولها[1].

فخلال القرن الخامس الهجري،الحادي عشر ميلادي تكلم عنها وعن علمائها "أبو زكريا يحي" في كتابه " سير الأئمة وأخبارهم" وذكرها باس م "وارجلان"، وهوا لكتا ب الذي أرخ فيه للإباضية[2]، ثم "البكري" في نفس القرن في كتابه "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" ، إذ قال " فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبربر"[3]،ثم ليأتي بعده ياقوت الحموي خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ليعرفها في كتابه "معجم البلدان" قائلا"وارجلان بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم وآخره نون، كوره بين إفريقية وبلاد الجريد،ضاربة في البر كثيرة النخيل والخيرات يسكنها قوم من البربر،ومجانة"[4] فنجد كل من البكري وياقوت الحموي قد أعطوا تعريفا للمنطقة، بذكر موقعها الجغرافي ومن يسكنها دون التعرض لأصل التسمية، أما "ابن خلدون" في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي فقد ذكرها باسم "واركلا" ونسب أصل تسميتها لبني واركلا أحد بطون زناتة ،وأشار إلى أنهم هم الدين أسسوها في قوله "بنو واركلا هؤلاء أحد بطون زناتة،كانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة"[5] .

1- محمد البشير الشنيتي **: التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري،في الأصالة** ،العدد 41،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر 1977، ص ص 19/12.

2- أبو زكريا يحي : **سير الأئمة وأخبارهم** ،تح: اسماعيل العربي ،ط 3 ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 154.

3- أبو عبد الله (البكري) **: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** ،دار الكتاب الإسلامي القاهرة،(د.س.ن)،ص182.

4- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله (الحموي) : **معجم البلدان**، مج 5،دار صادر،بيروت،1977م، ص371.

5- عبد الرحمان (ابن خلدون): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، مج 7، دار الكتاب اللبناني، لبنان ،1983،ص 98 .

كما أننا نجد بأن العديد من المراجع الحديثة قد أرجعت أصل الكلمة إلى الأسطورة الشعبية وهو ما ذهب إليه " larjeau" في كتابه " le pays de rirha ouargla"حيث قال "بأنه كانت امرأة تسمى ورقلة سكنت تلك الجهة فبنت كوخا، وألتف الناس من حولها، حتى تكونت المدينة وسميت باسمها" [1]، وهناك أسطورة شعبية أخرى ترجع التسمية إلى أن "أسدا كان جاثما أمام المورد المائي الوحيد الموجود بالمنطقة، وكان يلتهم كل من اقترب من هذا المورد، فاتفق الجميع على محاربته، وتمكنوا فعلا من القضاء عليه، ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة محررة من خطر الأسد فقيل باللغة المحلية الأمازيغية "الوير-انجلاء" بمعنى "الأسد-ذهب أو غاب أو زال"، فسميت منذ تلك الحين المدينة "بالويرانجلاء"[2]، إلى أن تطور نطقها عبر الزمن فأصبحت "وارجلان"، لكن وكما ذكر "أحمد ذكار" من خلال دراسته بأن الأسطورة فيها نوع من الغرابة ذلك لأن كلمة "وير" تعنى باللغة الأمازيغية "أسد"، لكن كلمة "أنجلاء" فهي كلمة عربية، فكيف اجتمعت كلمتين أحداهما بالأمازيغية والأخرى عربية.

أما عن الاختلاف الذي ورد في المصادر والمراجع في نطق الكلمة، والذي كان بأسماء متعددة، عبر أزمنة مختلفة فيرجعه بوعصبانة إلى "اختلاف في نطق الجيم والكاف والقاف فقط"[3]، فيسميها "البكري" وارجلان حيث يقول: "فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون ..." [4]، أما الجغرافي "الشريف الإدريسي" فقد استبدل الجيم قافا، حيث قال "وأكثر ما يزرعه أهل الزغاوة الذرة وربما جلبت الحنطة إليهم من بلاد وارقلان ..." [5]، أما عن المصادر الإباضية "كالشماخي" و"الدرجيني"، و"الوسياني" وكذلك الشيخ" إبراهيم أعزام" فقد ذكروها باسم "وارجلان"، فيقول" الشماخي" في كتابه "السير" "...وكان من المتكلمين من أهل وارجلان " [6]، "والدرجيني"

---

1 - Largeau (v), **le pays de rirha ouargla**, paris, 1879, pp 156-157.

2- أحمد ذكار: **حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي، (1000هـ/1991م) إلى (1301هـ / 1883م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، إشراف محمد حوتية، الجامعة الأفريقية، العقيد أحمد دراية، أدرار، 2010، ص 8.

3- عمر سليمان بوعصبانة، **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان (296هـ/ 626م)/(909هـ/1029م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، 1992، ص 13.

4- البكري، المصدر السابق ، ص 182.

5- محمد بن عبد العزيز الشريف (الإدريسي)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مج 1، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (د.س.ن)، ص 21.

6- أحمد بن سعيد أبو العباس(الشماخي)، **السير**، طبعة حجرية، (د.م.ن)، (د.س.ن)، ص 433.

في طبقاته "... وإلى وارجلان، فنزلها وبلغ فيها مبلغا عظيما" [1]، أما عن "الوسياني" في كتابه "سيرمشايخ المغرب" قال "... فقد ذكر عنه أنه يصلي في ليلة الجمعة في مساجد وارجلان ..." [2]، ليأتي من بعدهم" حسن الوزان" فيذكرها في كتابه "وصف أفريقية" باسم واركلة عند قوله "واركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا" [3]، ثم" ابن خلدون" الذي ذكرها باسم واركلا وهو الاسم القريب إلى تسميتها الحالية [4]،أما "الناصري" في "كتاب الاستقصاء" فقد أورد ذكرها واركلان حيث قال "ملكوا قصور الصحراء التي اختطتها الزناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم واركلان" [5]، ونجد "العياشي" الذي أخص المنطقة في حديثة عند رحلته فقال "...تراءى لنا نخل واركلا كأنه سحابة وطفاء" [6]، أما عن المؤرخين الفرنسيين فقد كتبوا اسمها " Ouargla"[7]، وهذه الكتابة بالأحرف اللاتينية أقرب لنطقها المعهود عند الكتاب العرب أمثال حسن الوزان، والعياشي ،و قد فسر بعض هؤلاء المؤرخين الفرنسيين حتى سبب اختلاف النطق فأرجعوه إلى مواطني المدينة وجيرانهم فهذا " Jean lethiellieux" في كتابه " Ouargla cite saharienne" يقول بأن "الاختلاف في النطق راجع إلى مواطني المدينة وجيرانهم، فسكان القصر العتيق يسمونها وارقون، وسكان قصر نقوسة يطلقون عليها اسم وارقرة، أما الميزابيون فيسمونها وارجلان، أما الطوارق فيسمونها وارقلن بينما العرب الرحل من القاطنين على أطراف المدينة فيطلقون عليها اسم ورقلة"[8].

وعليه ما يمكننا استنتاجه هو أن جل المصادر والمراجع اباضية أوغير اباضية لم يعطوا أي مدلول لأصل الكلمة، عدا ابن خلدون الذي أرجع تسميتها إلى بني واركلا، كما

1- أحمد بن سعيد أبو العباس(الدرجيني)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي ، ج2 ، مطبعة البعث، الجزائر، (د.س.ن)، ص 331.

2- سليمان بن عبد السلام أبو الربيع الحسن بن عبد الله (الوسياني)، **سير مشايخ المغرب**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 31.

3- حسن بن محمد الفاسي الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد الحاجي ومحمد الأخضر، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 136.

4- ا بن خلدون: المصدر السابق،مج7، ص 98.

5- أحمد أبو العباس خالد (الناصري)، **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج2، دار الكتاب، المغرب الأقصى، 1954، ص 159.

6- عبد الله بم محمد العياشي، **الرحلة العياشية (1661-1663م)**، تح: سعيد الفضلي، سليمان القريشي، مج 1، دار السريدي للنشر، أبو ظبي، 2006، ص 114.

7- عبد الله بن الجيلاني السائح، **صفحات من تاريخ ورقلة من أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي**، دار الأمل، الجزائر، 2010، ص 59.

8 -Lethiellieux jean : **Ouargla cité saharienne des cerigine au début du XX siècle**, paris, 1989, p 19.

أن هذا الاختلاف الطفيف في نطق التسمية راجع إلى عدة اعتبارات والتي من بينها: اختلاف اللهجات بين السكان الأصليين للمنطقة إضافة إلى من جاورهم من عناصر أخرى، كما أن نجد أن الكلمة في كل فترة زمنية معينة تأخذ نطق معين، فنجدها تتغير وتتطور بمرور الزمن، وبما أننا قد خصصنا دراستنا هذه على فترة زمنية معينة بالقرن الخامس السادس الهجريين، العاشر الحادي عشر الميلادي، فإننا سنعتمد في بحثنا هذا على لفظة "وارجلان" وهو الاسم الذي استعملته المصادر الإباضية كالشماخي، والوسياني، الدرجيني، وهو الاسم المناسب لتلك الفترة التي كانوا فيها هم أهل المنطقة وهم الأدرى بالاسم ومدلوله"[1].

*** الدراسة الطبيعية:**

ـ الموقع الفلكي:

احتلت وارجلان مكانة هامة عبر التاريخ، كونها كانت بوابة الصحراء، ومحطة للقوافل التجارية، وممر لركب الحجيج، وهمزة وصل بين الجهات الأربعة خاصة منها بين الشمال والجنوب، وعدت ملجأ للزهاد والفارين من الاضطهاد، كل ذلك بما أضفاه عليها موقعها الاستراتيجي الذي وصفه العديد من المؤرخين والرحالة والجغرافيين، فهي تقع فلكيا "بين خطي عرض 31.55 و 32.00 شمال خط الاستواء، وخطي 05.15 و 05.25 طولا شرق خط غرينيتش"[2].

ـ الموقع الجغرافي:

أما الموقع الجغرافي للمنطقة فقد ذكره "البكري" بقوله: "فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبربر وبين وارجلان وقلعة أبي الطويل مسيرة ثلاثة عشر يوما"[3]، "وحسن الوزان" وصفها بأنها: "مدينة أزلية بناها النوميديون

1- عمر سليمان بوعصبانة، المرجع السابق، ص 13.
2-الهادي مبروك الدالي ، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 الى بداية القرن 18**، الدار المصرية البنانية ،1999 ،ص299 .
3- البكري: المصدر السابق، ص 182.

في صحراء نوميديا"[1]. وأضاف إلى ذلك" ياقوت الحموي" بتعريفها بأنها "منطقة تقع في الصحراء بين بلاد الجريد وإفريقية"[2]، بهذا دل كل منهم على أن المنطقة صحراوية، أما "العياشي" فقد وصفها عند وصوله إليها أثناء رحلته بأنها "بلد خصيب كثير النخل والبساتين"[3]، ونفس الرأي ذهب إليه" بوعصبانة" في رسالته بأن "هذا الخصب الذي رأته وارجلان ومن جاورها كان سببا في عمارتها إبان الفتح الإسلامي وبعده"[4]، فقد بنيت فيها قصور متقاربة الخطة حتى استجر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا"[5]، ونجد أن مزهودي هو من رسم حدودها حيث قال "وهذه المنطقة وعني بها وارجلان تحدها شرقا بلاد الزاب وغربا بلاد ميزاب، التي هي منطقة صحراوية تبعد عن وارجلان 190 كلم إتجاه الغرب، وجنوبا مدينة سدراتة أما شمالا فلم يستطع تحديده نظرا لعدم وجود تجمعات سكانية تابعة لوارجلان"[6].

ـ التضاريس:

يعود التكوين الجيولوجي للمنطقة إلى الزمن الأركي الذي سبق الحياة الحيوانية [7]، عندما كانت الحياة ملتحمة، وبعدما حدث تزحزح للقارات في الزمن الجيولوجي الثاني ظهرت الصخور الجيرية والرملية والتي تمتد من شمال شرق الصحراء إلى أقصى غربها، وقد تكونت تضاريس المنطقة ما بين الزمن الجيولوجي الثاني والرابع متمثلة في:

الهضاب : والمعروفة بالقارة GARA والتي تكونت بفعل عوامل التعرية بسبب فياضانات الوديان والرياح ومنها "قارة كريمة"[8].

1- حسن الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 136.
2- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 371.
3- العياشي: المصدر السابق، ص 81.
4- عمر سليمان بوعصبانة: المرجع السابق، ص 13.
5- ابن خلدون: المصدر السابق، مج7، ص 51.
6- مسعودي مزهودي، **الأباضية في المغرب الأوسط** ،منشورات جمعية التراث ،المطبعةالعربية،1996، ص 27.
7- عبد القادر علي حليمي: **جغرافية الجزائر(دراسة طبيعية، بشرية، اقتصادية)**، ط2، مطبعة الانشاء، دمشق، 1968، ص08 .
8- يقال قارة في منطقة وارجلان على كل مكان مرتفع من الأرض أكان أوجيلا وقارة كريمة إحدى الهضاب العليا والتي يصل ارتفاعها إلى 212م، وتقع إلى الجنوب الغربي من الحاضرة، وتبعد عنها بحوالي 15 كلم، وتقول الروايات الشفوية أن إمرأة تسمى كريمة سكنتها في أول الأمر وبالتالي حملت اسمها، وضل متداولا إلى اليوم، ينظر: (أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 11).

العرق ERG: هو عبارة عن كثبان رملية تشبه أمواج البحر من حيث المظهر [1] ومن أشهرالعروق بوارجلان عرق بوصلاح، وعرق طوارق، وعرق بوخزنة، والعرق الطويل[2].

- الرق: عبارة عن حبات صخرية جرفتها الوديان إلى أرض مستوية، وأكبر رق في الجهة يقع في الناحية الشمالية الشرقية بين سيدي خويلد وتقرت.

- السبخة: توجد في الأماكن المنخفضة جدا، تشكلت نتيجة صعود الماء في الشتاء وجفافه في الصيف، وهي شديدة الملوحة لا تصلح للزراعة، ولا ينبت بها النبات الذي يتحمل الملوحة كالنخيل، من أبرزها في المنطقة: سبخة الشط، وسبخة أم الأرانب التي تحيط بالمنطقة بالجهة الغربية حتى بامنديل.

- الحمادة: عبارة عن أرض تغطيها صخور جيرية وحجارة على شكل صفائح، توجد في الجهة الغربية للمنطقة "تبدأ من بامنديل إلى متليلي ووادي ميزاب"[3].

- **المناخ:** نلاحظ من موقعها الفلكي وكذا تضاريسها وكونها منطقة واقعة في الصحراء كما أسلف الذكر ما يدل على أن المناخ السائد في المنطقة مناخ صحراوي، حار صيفا مع فروق كبيرة بين الليل والنهار وبين فصل وآخر، وبارد وجاف شتاءا وهذا ناتج عن ندرة سقوط الأمطار.فالمنطقة صحراوية ذات ضغط مرتفع معرضة للرياح التجارية – التي تزداد حرارة كلما اقتربت من سطح الأرض- إضافة إلى أنواع أخرى ساخنة رطبة تهب من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي في فصل الصيف، ورياح باردة تهب بين شهري فيفري ومايو تكون قوية جدا تزداد سرعتها أحيانا عن 100 كلم/سا [4]، أما الحارة فتسمى محليا بالشهيلي وهي تهب من الجنوب إلى الشمال في أواخر الربيع، وفصل الصيف، كما تسمى بالبحري وهذا استثناء بحيث تهب من الشمال الشرقي إلى الجنوب في فصل الخريف والشتاء وجزء من الربيع وهي باردة شتاء شديدة الحرارة صيفا، مع تفاوت كبير في الدرجات بين الليل والنهار وبين شهر وآخر وفصل وآخر[5].

1- عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 13.
2- أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 11.
3 - نفسه: ص 12.
4 - عبد القادر علي حليمي: المرجع السابق، ص 74 75.
5 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص 14.

ـ الموارد المائية:

لقد عمرت وارجلان إبان الفتح الإسلامي وبعده نظرا لما عرفته من خصب جاذب للسكان، والذي كان مصدره العيون الجارية بها التي قدرت بإحدى وخمسين وألف عين، منها خاصة عين الصفا التي تأتي مياهها من سدراتة إلى وارجلان، وعين القبائل من ناحية يفرن، وعين الحواس بناحية نقوسة [1]، ومن العيون المعدة لسقي الأهالي أولها عين البستان، وعين أبي أيوب، وعين كركندي، والثلاثة في شرق المدينة، وعين أبي إسحاق في شمالها، وعين في أحميد في غربها، وعين عزي وعين كومني،وأعذب هده العيون عين البستان وأخفها عين أبي إسحاق، هذا ما ذكره أعزام في مخطوطه[2]، وقد ذكر ابن خلدون كيفية استنباط هده المياه الجارية ، فقال عنها: "بأنها غريبة لا توجد في تلول بلاد المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعدا، فيفعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا"[3].

ـ الغطاء النباتي:

على الرغم من طبيعة المناخ الصحراوي القاسي والمتميز بالحرارة والجفاف بسبب ندرة الأمطار وشدة هبوب الرياح، إلا أنه لا ينفي ذلك وجود نبتات صحراوية كثيرة ومتنوعة بعضها ظرفي يظهر ويختفي حسب نزول الأمطار النادرة، وقدوم فصل الحر، وهناك أشجار غير موسمية بعضها معمر تكثر بها الأشواك وأوراقها أبرية مقاومة للجفاف والحرارة والرياح منها (الأثل، الطرفة، العقه، الدريي ن، العلندة [4]، كما ينبت القصب والحلف و اللين من الحشيش في المواضع التي يكون فيها الماء قريب[5].

1 -عمر سليمان بوعصبانة: المرجع السابق، ص ص 13 14 .
2 -الشيخ ابراهيم أعزام:**غصن البان في تاريخ وارجلان**،مخطوط موجود عند عائلةأ بومعقل بوارجلان ،ص29.
3 - ابن خلدون: المصدر السابق، مج7، ص 119.
4 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص ص 14، 15.
5 - عمار غرايسة: **المدينة الدولة في المغرب الأوسط "وارجلان أنموذجا"**، رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (1428-1429)هـ/(2007-2008)م، ص 24.

*** الدراسة التاريخية:**

ـ تأسيس حاضرة وارجلان:

لقد تضاربت الآراء حول تأسيس وارجلان، فهناك من يرجعها إلى الفترة العتيقة، في حين يرجعها بعضهم للفترة الإسلامية.

فقد قال حسن الوزان: "واركلا مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها سور من الآجر النيئ، ودور جميلة وحولها نخل كبير وعدد لا يحصى من القرى" [1].فابن خلدون يرجع تأسيسها إلى الفترة النوميدية، أما مزهودي فيرجعها للفترة الرومانية ، بحيث يقول بأن من أسسها هم "الأفواج البربرية التي حلت في الصحراء ولم تستطع العودة لكون الجهات الشمالية محاصرة من طرف الجيوش الرومانية والتي سكنت أولا منطقة الزاب، وما لبث أن عمت كل الوديان والمنخفضات التي تقع إلى الغرب والجنوب الغربي من الزيبان من وادي ريغ"[2]إلى غاية حاسي ريرة الذي يقع على بعد 30 مرحلة جنوب غرب وارجلان .

أما الرأي الثاني فيرجعها إلى الفترة الإسلامية،حين شن العرب الفاتحون ضد السكان الأصليين حروبا أدت إلى نزوح البربر للداخل، وكان من بين القبائل النازحة بنو واركلا من زناتة الذين استقروا في منطقة وارجلان وسميت باسمهم [3]، لتصبح بلدة كبيرة يحيط بها صور فيه عدة أبواب ويحكمها سلطان، ولغة السكان فيها البربرية[4]، وعدت منذ ذلك التاريخ المبكر محطة هامة من محطات القوافل التجارية وظلت على هذه الصورة حتى دخول الإسلام إليها في القرن الأول للهجرة [5]،وفي منتصف القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي إبان قيام دويلات إسلامية في بلاد المغرب كانت وارجلان تمثل الحدود الجنوبية

1 - حسن الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص 136.
2 - ترجع تسمية أريغ عند العدواني على رجل اسمه ريغ يقال له باهوت ابن شملخ ابن كعب ابن غاوية من ولد أندلس بن يافت بن نوح عليه السلام، نظر: محمد بن محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**: تح: أبو القاسم سعد الله، ط 2، دار الغرب، بيروت، 2005، ص 138.
3 - مسعود مزهودي: المرجع السابق، ص 30.
4 - ابو القاسم سعد الله: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 256.
5 - أحمد ذكار: المرجع السابق، ص30.

للدولة الرستمية [1]، وبعد سقوط هده الأخيرة على يد الدولة العبيدية الفاطمية [2] توجه" يعقوب بن أفلح" مع أهله وجمع غفير م ن التيهرتيين صوب وارجلان وسدراتة،خوفا من بطش أبي عبد الله الشيعي، واتقاء شره فاعتصم الإباضية [3] بجبل كريمة، ولحق بهم الفاطميون، وجرت بينهم معارك دامية، وعندما وصلوا إلى وارجلان استقبلوا استقبالا حارا من قبل "صالح جنون بن يمريان" متولي أمرها، فلما دخل الإمام المدينة أكرموه وأحسنوا إليه وطلبوا منه أن يتولى أمرهم فقال قولته الشهيرة: "الجمل لا يستتر بالغنم" [4]، وبقي بينهم مواطنا، وبهذا بدأ عهد جديد داخل وارجلان باندماج اباضية الدولة الرستمية ضمن النسيج العمراني للمنطقة، حيث شيدوا مساكنهم وأقاموا مساجدهم إلى جوار منازل سكان المدينة، وتكلموا اللغة الأمازيغية، ولم يمنعهم حرصهم الشديد على مذهبهم من الاندماج في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للمدينة[5].

وخلاصة القول أن وارجلان مدينة عريقة، ذاع صيتها بدخول الإسلام إليها.

ـ الأوضاع السياسية:

من خلال اطلاعنا على المصادر التاريخية للمنطقة توصلنا إلى:

أن وارجلان منذ نشأتها كانت خاضعة للنظام القبلي الخاضع لرؤساء العشائر، الذين يديرون شؤونها[6]، وبقيام الدولة الرستمية بتيهرت أصبحت تابعة لها بحكم المذهب، وهذا ما دل عليه الاستقبال الحسن" ليعقوب بن أفلح" من طرف" أبي صالح جنون بن بمريان"

1 - نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم الذي أنشأ الدولة الرستمية سنة 144هـ، بالمغرب الأوسط، ينظر: محمد الميلي، عبد الله شريط: **الجزائر في مرآة التاريخ** ، دار الهدى ، قسنطينة، 1965، ص 28.

2 - الدولة العبيدية نسبة إلى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء المعروف بالشيعي، القائم بدعوة عبيد الله المهدي جد ملوك مصر،ينظر أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ابن خلكان): **وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان**،تح:احسان عباس ، مج2 دار الثقافة،بيروت،(د س ن) ،ص192 .

3 - الإباضية من الفرق الإسلامية ظهرت في النصف الثاني من القرن الهجري نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمي، إذ اعتبر هذا الأخير مؤسس المذهب وإمامه، واشتهرت ضمن فرق الخوارج لكنها برزت كفرقة مستقلة منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول لغلو بعض المتطرفين من الخوارج، للمزيد ينظر: (الدرجيني: المصدر السابق، ص 205).

4 - الشماخي: المصدر السابق، ص 362.

5 - عبد الله بن الجيلاني السايح، المرجع السابق، ص 75.

6 - عوض خليفات: **التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، نظرة خاصة لبلاد المغرب** ، وزارة العدل والأوقاف، سلطنة عمان، (د.س.ن)، ص 12.

في وارجلان عند فراره من تيهرت إبان سقوطها في شوال سنة 296هـ، على يد أبي عبد الله الشيعي[1].

ولقد حاول الإباضية إعادة بعث دولتهم بتنظيم أنفسهم من جديد ودفع عدوهم لكن محاولتهم باءت بالفشل على الرغم من الثورات التي قاموا بها كثورة مخلد بن كيداد الذي كان راغبا في إقامة إمامة الظهور من جديد[2]، ورغم تكبد الفاطميين لخسائر جسيمة إلا أن الإباضية لم يستطيعوا أن يقيموا دولتهم من جديد ، لذلك فكر زعماءهم في انتهاج أسلوب يحفظ لهم مذهبهم ويكرس وحدة جماعتهم في الأماكن التي إلتجؤوا إليها بعد انهيار دولتهم ، فوجدوا أن أفضل الطرق لبلوغ الهدف هو العودة إلى طور الكتمان والدعوة سرا لوحدة مذهبهم، هذا النظام الذي يتماشى وحفظ كيانهم وجمع شملهم دون أن يتعرضوا لشر الحكام الذين صاروا يخشون ثوراتهم ومن ثم محاولة القضاء عليهم.

وقد صعب على الإباضية تعيين شخص واحد ليكون إمام كتمان [3] يدير أمرهم، وينقذهم مماهم فيه من فرقة، وشدة، ذلك لأنهم كانوا موزعين في مناطق مختلفة [4]، ومتباعدة تفصل بينهم قوى معادية تتربص بهم [5] إضافة إلى عدم اقتصار وارجلان على المذهب الإباضي فقط بل كان للمذهب المالكي حضورا واسعا خاصة بعد قدوم عائلة علاهم الدين كان لهم دورفي نشر المذهب المالكي بالمدينة فقد ذكر أعزام: "بأنه مع قدوم عائلة علاهم إلى وارجلان أسسوا أول مسجد مالكي في المدينة" [6]، كما أورد العياشي من خلال رحلته بأن جل الكتب التي كانت موجودة في مكتبة الأمير علاهم كانت تتناول الفقه المالكي" [7]، هذا الوجود للمالكية والإباضية في وقت واحد إضافة إلى محاربة الشيعة للإباضية وملاحقتهم في كل مكان، أدى إلى سعي الإباضية في البحث عن وسيلة تحفظ لهم

1 - إبراهيم بحاز: **أخيار الأئمة الرستميين لابن الصغير ق3هـ**، تح: محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 26.
2 - ثورة أبي يزيد (326هـ/938م) هو الجناح الثاني من أجنحة الإباضية (الطرف النكاري) كان راغبا في إقامة إمامة الظهور حقق انتصارات على الشيعة حتى كان قاب قوسين من تحقيق غرضه ثار بالجريد أولا ثم استمال البربر وتلقب بشيخ المؤمنين، ولقد أربك الدولة الفاطمية إلى أن تتبع اسماعيل منصور أثره وأوقع به بأرض كتامه سنة (336هـ/947م)، أنظر: فرحات الجعبيري، **نفحات من السير**، مطابع النهضة، تونس، 2001، ص 21.
3 - عوض خليفات: التنظيمات السياسية والادارية، المرجع السابق، ص 12.
4 - عوض خليفات: **النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في أفريقيا في مرحلة الكتمان** ، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، (د.س.ن)، ص 20.
5 - عوض خليفات: التنظيمات السياسية والإدارية، ص 12.
6 - أعزام: المصدر السابق، ورقة 65.
7 - العياشي: المصدر السابق، ص 78.

دعوتهم من الزوال فأخذوا يرتبون المجالس السرية للحلقات [1]، ويضعون بعض التقاليد والنظم حتى توصلوا في بداية القرن الخامس الهجري إلى الاهتداء لما عرف في التاريخ الإباضي والمغربي باسم نظام العزابة[2]، بحيث يذكر الشيخ أعزام "بأن شيخ العزابة هو الذي يلي الأمور كلها الدينية والسياسية وأن هيئة العزابة هي الهيئة العليا[3].

1 - عوض خليفات: التنظيمات السياسية والإدارية، المرجع السابق، ص 12.

2 - نظام العزابة، حلقة العزابة، هيئة العزابة، مجلس العزابة، كلها مصطلحات تستعمل في المراجع مترادفات، الا أن نظام العزابةأوسع دائرة لأنه يشرف على تسيير شؤون المجتمع ، ينظر: صالح بن عمر أسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب** ، الحلقة الأولى،نشر جمعية التراث، غرداية ، (د.س.ن)، ص 293.

3 -أعزام: المصدر السابق، ص 157.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية بوارجلان

* المبحث الأول : المجتمع وفئاته.

- أصل السكان.
- الفئات الاجتماعية.

* المبحث الثاني : العادات والتقاليد.

- الحياة اليومية.
- التكافل الاجتماعي.
- بعض المعتقدات.

* المبحث الثالث : التركيبة العمرانية.

- الحواضر.
- القصور.
- المنازل والمساجد .

الملاحظ على المصادر التاريخية الإباضية الخاصة بالفترة الممتدة ما بين القرن الخامس و السادس هجري الحادي عشر الثاني عشر ميلادي، لم تتعرض للجانب الاجتماعي بمنطقة وارجلان، إلا ما دل عليه من خلال طيات الكلام لذلك كان لزاما علينا تحليل واستنتاج بعض ما ورد في هاته المصادر.

*** المبحث الأول : المجتمع وفئاته.**

ـ أصل السكان :

قبل التطرق إلى عرض الفئات الاجتماعية، علينا أن نعرج على أهم العناصر السكانية التي أهلت المنطقة، منذ الفترة العتيقة بها إلى غاية بروز معالم هاته الحاضرة في ظل الوجود الإسلامي، فيذكر مزهودي بأن مدينة وارجلان سكانها الأصليون هم أثيوبيون وقرمانيون كانوا يسكنون وسط القارة الأفريقية، أما الوجود البربري فيها فيرجع إلى الغزو الروماني[1]، الذي استولى عليها حينا من الزمن في عهد وجوده في الشمال الأفريقي على إثر حروب متتالية بين الغزاة والبربر[2]. ويذكر " التيجاني " " أنه بعد تلك الحروب الدامية وقع الصلح بين الرومان والبربر على أن تعود المدن والبلاد الساحلية للروم أما الجبال والصحاري وأطراف البلاد للبربر" [3]، ومن بين هاته القبائل البربرية الذي ذكرها "ابن خلدون" هوارة، الزناتة، ضريسة، مغيلة، زيحوحة، نقرة، كتامة، لواتة، غيمارة، مصمودة، صدينة، ويزدران، ذبجين، محكسة، ووارکلان وغيرهم " [4]، وأشهر هاته القبائل البربرية بمنطقة وارجلان :

قبيلة زناتة [5] بما فيها بنو واركلا وبن و يفرن، وبنو مغراوة، وبنو زنداك وبنو ورماز، وكذلك قبيلة سدراتة[1]، وقبيلة تناوتة[2].

1 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 29.
2 - إبراهيم محمد الساسي العوامر : اتمرجع السابق، ص 35.
3 - التيجاني : **رحلة التيجاني**، تصحيح حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1958، ص 160.
4 - ابن خلدون : المصدر السابق، مج7، ص 109.
5- هم أبناء زنانة (جانا أوشانا) بن يحي بن ضري، يعرفون باسم زناتة : وهم من العرب، وبالضبط من حمير، ويعود أصلهم الى كنعان بن حام، وهم فرع من البتر، ينظر : شرقي نوارة : **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (1126-1261م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف عبد العزيز محمود

وقد أورد " بوعصبانة " بأنه لم يكن أي تواجد للعرب في منطقة وارجلان، ولو في الصدر المبكر للفتح الإسلامي، ولذا فالاحتمال يكون قويا على أن بربر المنطقة هم اللذين جلبوا الإسلام إلى وارجلان، وأن العرب لم يستوطنوا المغرب إلا في أواسط المائة الخامسة للهجرة[3]، كما وضح ذلك " ابن خلدون " في قوله: " بأن العرب لم يكن لهم المغرب في الأيام السابقة وطن وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفار بقي بني هلال وبني سليم اختلطوا في الدول هنالك " [4]، وهو الأمر الذي أكده " أعزام " انه من سنة (450هـ، 624هـ/ 1039م، 1226م) اختلطت البلاد ودخلت العرب الوطن [5]. إضافة إلى البربر والعرب فقد كان ذكر لوجود اليهود في عموم بلاد المغرب كمهاجرين من العصر الروماني، حيث برزوا مع ما قاموا به من أنشطة اقتصادية [6]، فقد وصف أعزام وجودهم في " الديار الشرقية من بني إبراهيم والتي بقيت ملكهم إلى أن طردهم الأشراف عند استيلائهم على البلاد " [7].

- **الفئات الاجتماعية :**

عرفت المنطقة تباينا واضح لفئات المجتمع كان ذلك ناتج عن كونها حاضرة قائمة بذاتها فوجدت طبقة غالبة على المجتمع هي طبقة التجار، إضافة إلى طبقة العبيد الذين

لعرج، جامعة الجزائر، 2008، ص 38، ومن بطون زناتة بنو واركلا وإخوانهم يزمرتن ومنجصة ونملاتة مواطنهم قبلة الزاب، ينظر : ابن خلدون، مج 6، ص ص 96، 100، وبنو بفرن : وهم أبناء يفرن بن يصلتين إخوانهم مغراوة وبنويرنيان، وبنو واسين، إليهم ينسب أبو قرة اليفرني، ينظر : بوزياني الدراجي : **القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها**، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 169، وبنو مغراوة جدهم الأكبر ديرت بن زناة، إنتشروا جنوب الغرب الأوسط بجبل راشد وواركلي والأغواط، ينظر : محمد بن عميرة : **دور الزناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995، ص 19. وبنو زنداك : وهي من ضمن القبائل الزناتية، وإليها هاجر مخلد بن كيداد سنة 325هـ/936م.وبنو ورماز : قبيلة زناتية بدوية، سكنت أريغ وفرع منها سكن وارجلان، اشتهرت بالمنطقة بالسطو والنهب وقطع الطريق، وشن الغارات على المسافرين، ينظر : عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 25.

1 - من قبيلة لواتة من أبناء لوة الأصغرين لوة الأكبر بن رحيك، حيث لواة الأصغر ونفزاوة إخوان، وإلى سدراتة تنسب المدينة المتواجدة بقلب وارجلان، ينظر بوزياني الدراجي : المرجع السابق، ص 262.

2 - انتشرت بين غدامس ونفزاوة بالجريد، وإليها ينسب أبو عمار الكافي التناوتي وابن درار الغدامسي، احتضنت الإباضية في وقت مبكر، ينظر : بوعصبانة، ص 26.

3 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 27.

4 - ابن خلدون : المصدر السابق، مج6، ص 8.

5 - أعزام : المرجع السابق، ص 28.

6 - محمود إسماعيل عبد الرزاق : **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري** ، ط2، دار الثقافة المغرب، 1985، ص 286.

7 - أعزام : ص 24.

كانوا يجلبون من بلاد السودان. وهذا ما تحتم وجود مجموعة من المشايخ، ومن القضاة والمفتين لضبط أمور العامة وأول هاته الفئات.

ا_ فئة المشايخ : وهم من أسند إليهم تولي شؤون البلاد، وقد كان في بادئ الأمر تعيين الولاة من تيهرت قبل اندثار الدولة الرستمية سنة (296هـ/ 909م) [1]، وقد كان المتولي لأمور وارجلان أثناء الدولة الرستيمة أبا صالح جنون بن يمريان، الذي كان إلى جانب إشرافه على المدينة يقوم على التدريس، وكان أهل وارجلان يجتمعون إليه ليستفدوا من علمه، ويتبركون بمشاهدته ويشركونه في أمور دينهم، ودنياهم، ويقتنون من خلقه [2]، وعند فرار يعقوب بن أفلح، طلب منه أبو صالح جنون بن يمريان أن يتولى أمرهم بغية إحياء الدولة المندثرة إلا أنه رفض قائلا: "لا يستتر الجمل بالغنم " [3]، و فضل يعقوب إمامة الكتمان على إمامة الظهور، وظل الإباضية طيلة القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي يقيمون الحلقات العلمية ويجتهدون في خلق نظام دقيق يحافظ على استمرار المذهب في مرحلة الكتمان، حتى توصلوا إلى وضع نظام متكامل الجوانب يطبق في مختلف المناطق التي تواجد بها الإباضية، واستمر الحال إلى بداية القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، عندما تمكن أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي من وضع نظام الحلقة [4]، والتي لم تتجاوز في بداية الأمر مهمتها التربوية حتى جاء أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني الذي ساهم مساهمة كبيرة في الإعداد النهائي لسير حلقة العزابة في القرن السادس الهجري لتتصدر سلطة عليا قائمة مقام الإمامة العظمى، وكانت الشورى فيها رائجة إلى الشيخ في كبير الأمور وصغيرها[5]. الذي كان يقوم مقام الإمام بين الناس، وهو المرجع في الفتوى يقبل عليه العلماء، ويستشيرونه في ما استصعبوه، وهو واعظ الأمة والحاكم في نوازلها وملجأ الوافدين من كل مكان [6]. بحيث كان عبد الله بن محمد السدراتي (القرن الخامس

1 - رابح بونار : **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص 15.
2 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص ص 144، 145.
3 - مسعود المزهودي : المرجع السابق، ص 42.
4 - عيسى بن الديب، مسعود المزهودي : **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة 1 نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 72.
5 - يوسف بن بكير الحاج سعيد : المرجع السابق، ص ص 29، 31.
6 - فرحات الجعبيري : **نظام العزابة عند الإباضية**، المكتبة التاريخية للمعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1975، ص 37.

هجري الحادي عشر ميلادي) [1] مقدم وارجلان يعود إلى أبي عبد الله بن بكر النفوسي في أمور الفتوى، حيث سأله يوما ألستم تقولون خير الرعاة راع ساوي بين القوية والعجفاء من غنمه فسكت أبو عبد الله عنه فأضاف: "أولستم تقولون أن الناس اصطحبونا على المكروه لئلا يفترقوا، فقال أبوعبد الله في أمور الدنيا أم في أمور الدين أم مطلقة... " [2].

ب ـ فئة القضاة : إلى جانب الشيوخ كان هناك فئة القضاة، والذين من بينهم إسحاق بن إبراهيم بن رجاء (550-600هـ/ 1155-1203م)، والذي كان من علماء وارجلان، وكان قاضيا، ومفتيا[3]، وكذلك يوسف بن إبراهيم بن طاق السدراتي (أبو يعقوب القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي) الذي كان قاضيا بوارجلان، وهو أحد السبعين المستجيبين الدعاء [4]، وقد كان القاضي إلى جانبه أمينا عالما بأمور الأحكام، ودقائقها كما أنه كان يجالس ويشاور الفقهاء[5].

ج ـ فئة التجار : بما أن منطقة وارجلان منطقة تجارية بالدرجة الأولى فقد كثر الحديث في المصادر والمراجع عن تجارتها، وعن حال أهلها الذين جعلت منهم التجارة أناسا مياسير أغنياء، فقد قال عنهم " الإدريسي " " وارجلان فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء " [6]، كما وصفها " حسن الوزان " " واركلان فيها صناع كثيرون، وسكانها أغنياء أغنياء جدا لأنهم في اتصال... منهم عدد كبير من التجار " [7]، ومما يدل على غناها أن المزارع منهم كان يحفر البئر بأزيد من مئة دينار [8]، وهذا مبلغ مرتفع جدا يدل على الدخل المرتفع الذي يتحصل عليه أهل وارجلان، سواء من التجارة، أو من قيادة القوافل إلى بلاد السودان، إلى جانب اكتظاظ أسواقها بالتجارة من مختلف المناطق مما يزيد من كثرة المال في المدينة، ونظرا لرخاء المدينة سافر إليها كثير من التجار من مختلف المناطق

1 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : **معجم أعلام الإباضية (من القرن 01 إلى 15 هـ)**، مج2، نشر جمعية التراث، غرداية، 1999، ص 567.
2 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 37.
3 - أعزام : المصدر السابق، ص 231.
4 - إبراهيم بن بكير وآخرون، المرجع السابق، مج4، ص 1009.
5 - عمار غرائسة : المرجع السابق، ص
6 - الإدريسي : المصدر السابق، ص 17.
7 - حسن الوزان : المصدر السابق، ص 136.
8 - مسعود المزهودي : المرجع السابق، ص 132.

خاصة من المغرب الأوسط، وإفريقية، فكبرت المدينة وأصبحت تتكون من سبع مدائن مسورة حصينة[1].

د ـ فئة العامة : وهم عامة السكان من غير الفئات السالفة الذكر من فلاحين، وضاع حرفيين، وخبازين، وغير ذلك...الخ وهناك عناصر أخرى تمثلت في فقراء البلاد ومساكينها الذين كانت تجتهد في حقوقهم حلقة العزابة كما ذكر " أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني " في صفة أهل الحلقة: "أن يكون مجتهدا في حقوق الضعفاء والمساكين قائما بما ينوبهم " [2].

و ـ فئة العبيد : كانت وارجلان مركزا هاما من مراكز تصدير العبيد، وكانت تجلبه من بلاد السودان بحيث يقوم بزراعة الأرض لحساب أصحابها وملاكها[3]، ويعد العبيد أهم أهم سلعة توفرها، خاصة في عصر الدولة الفاطمية[4]، كان تجار الإباضية يحصلون على العبيد مقابل استبدال السلع [5]، فقد ورد عن" الشماخي" بأن بيع الرقيق وشرائهم واستخدامهم كان جائزا[6]، ويذكر" حسن الوزان" بأن أغلب الناس في وارجلان سود، لا بسبب المناخ ولكن لأنهم لهم جواري سوداوات يتسرون بهن فيأتين بأولاد سود[7]، وهذا ما ما دل أن أهل وارجلان إلى جانب استخدامهم للعبيد في أعمالهم اليومية كانو ا يتخذون النساء كجواري وإيماء وذلك ما ذكره "الدرجيني" "عن أمة أخذت في الصلاة وهي مكشوفة الرأس فلما قضت بعض ركعات صلاتها أعتقها ربها فأتمت صلاتها كذلك فاختلف في أمرها هل لها إعادة الصلاة أم لا ؟ " [8].

*** المبحث الثاني : العادات والتقاليد.**

1 - نفسه : ص 92.
2 - أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني : **سير أبي عمار**، مخطوط موجود بمكتبة أبي اسحاق أطفيش، جمعية التراث، غرداية، رقم 12-02، ص 02.
3 - عبد الله بن الجيلاني السايح : المرجع السابق، ص :130.
4 - ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق : ص : 247.
5 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص :157.
6 - الشماخي : المصدر السابق، ص : 125.
7 - حسن الوزان : المصدر السابق، ص : 136.
8 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص ص : 410- 411.

لكل مجتمع مجموعة من المميزات تظهر في عاداتها وتقاليدها والذي يطبعه الطابع الحضاري الخاص بها في كل مرحلة.

_ الحياة اليومية :

ا ـ المأكل : يعتمد بشكل أساسي على التمور حيث يذكر" العياشي" "تراءى نخلها... دونه " [1]، وهذا ما تعرض له جل الرحالة الذين زاروا المنطقة بحيث نجد أن جميعهم قد وصف منطقة وارجلان بأنها ذات نخل كثيف " وأصبحت بذلك أهم منتجاتها التي تصدرها سواء إلى الشمال، أو إلى بلاد السودان التمور بمختلف أنواعها " [2] وهذا ما يدل على الاكتفاء الذاتي الذي تمتعت به وارجلان من ناحية التمور التي عدت إحدى أول العناصر المدرجة في النظام الغذائي، هذا بالإضافة إلى توفر الحليب، والدهون واللحم، وذلك لتوفر الماشية التي اهتم أهل المنطقة بتربيتها من غنم، وجمال [3]. كما يذكر" الدرجيني " " أن صالح جنون بن يمريان جلس ذات مرة مع امرأته، وهي تعجن عجينا [4] ". وهذا يعني أنه من بين الطعام المتداول العجين الذي كان يعد من الحنطة، كما ذكر "الإدريسي " [5]، أو من الشعير الذي كان يباع ويشترى، كما ذكر" الدرجيني"في حديثه عن الرجل الذي باع مطمورة من الشعير ليقضي بها دينه " [6]، كما كان إباضية وارجلان أثناء عودتهم من تيهرت يحصلون على القمح، والشعير بكثرة[7]، وبما أن المنطقة وسيطا تجاريا فهي ملتقى القوافل من شتى الجهات، الأمر الذي أدى إلى تبادل الثقافات الذي قد يصل أحيانا إلى البيوت، وذلك باستقبال الضيوف الذي يتحتم إعداد أنواع من الطعام [8]، لقد كانوا يضيفون القوافل، والحجيج بحيث يذكر" بلحميسي "على لسان " العياشي " " بأن أهل وارجلان قد استضافوا ركب الرحلة العياشية أربع ليالي ضيافة لا بأس بها [9]، ولقد كانت النسوة يتفنن

1 - العياشي : المصدر السابق، ص 114.
2 - محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص 165.
3 - الشماخي : المصدر السابق، ص 390.
4 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 344.
5 - الإدريسي : المصدر السابق، ص 21.
6 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 402.
7 - ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ص 247.
8 - حسن الوزان : المصدر السابق، ص 136.
9 - العياشي : المصدر السابق، ص 87.

في إعداد أحسن الأطباق ما دل على ذلك وهو ما روي عن المرأة التي كانت قائمة على أمر أبي نوح[1].

ب ـ الملبس : بما أن وارجلان كانت مشهورة بتربية الأغنام فإن الصوف كان المادة الأساسية لتصنيع اللباس، فقد ذكر " العياشي " في رحلته وهو في وارجلان، تعجبه من وجود خرق كثيرة من الصوف والكتان أكبرها صحيحة لا قطع فيها تصلح للانتفاع، وليس مثلها ما يرمى به في العادة... " [2]، وهذا ما دل على أن اللباس كان يصنع من الصوف الذي كانت تصدره وارجلان إلى جانب التمور من منتجات نسيجية " كالبرانس والأغطية "[3]، ويذكر" الدرجيني" في حديثة عن أبي يعقوب السدراتي بأنه إذا انصرف إلى الوضوء الوضوء وضع عمامته وكساءه، وقعد في ثوب واحد هذا ما يدل على ارتداء الوارجلاني لأكثر من ثوب[4]، إضافة إلى ذلك نجد ما يعرف بالمقظعة التي إذا لفها المعتم على رأسه، ولم يجعلها تحت حنكه اقتعظ وهي عبارة عن مظهر اجتماعي ارتبط بالدين.[5].

ج ـ المرأة في المجتمع : لقد كان للمرأة الوارجلانية دورا في الحياة الاجتماعية كما تعددت مهامها في مختلف المجالات، فقد كانت تعد طعامها بنفسها، وذلك كما ذكرها " الدرجيني " في حديثه عن امرأة صالح بن يمريان التي كانت تعجن عجينا [6]، هذا العجين الذي لابد وأن يكون من الحنطة التي كانت تعد بواسطة الرحاء ليكون جاهزا لذلك [7]، وكانت المرأة حريصة على أمور دينها وما دل على ذلك " أن امرأة ذهبت إلى الوادي لتغتسل فيه، وقد اصطحبت معها غيرها فدخلت الماء بثيابها وجعلت فوقها ستارا آخر، فقال "أبو عمار لها عندما سألته عن حكم ذلك ؟ أيما امرأة ذهبت إلى الوادي تغتسل فيه فستعوم في سبعة أودية من النار، فلما سمعت ذلك منه تغير لون وجهها وسألته هل من رخصة، فرخص لها إن فعلت ذلك بسترة وحارس... " [8] والمرأة في وارجلان غير بعيدة عن المرأة في أريغ التي كانت تحضر الحلقة، فقد عرفت أثناء القرن الخامس هجري سارة

1 - عمار غرائسة : المرجع السابق، ص 105.
2 - مولاي بلحميسي : المرجع السابق، ص 88.
3 - عبد الله بن الجيلاني السايح : المرجع السابق، ص 92.
4 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 492.
5 - عمار غرائسة : المرجع السابق، ص 105.
6 - الدرجيني : المصدر السابق ج2، ص 344.
7 - يوسف بن بكير الحاج سعيد :المرجع السابق، ص28.
8 - الوسياني : المصدر السابق، ص21.

اللواتية التي كانت تأخذ العلم عن أبي زكريا أفلح، وتروي أشعارا بربرية وتأوي إلى الشيوخ طلبا للعلم[1]، ولم تهمل هيئة العزابة الجانب النسوي بل خصصت لهن هيئة نسائية تعرف باسم الغسالات، واشترطت فيهن أن يكن ورعات خيرات عالمات بأحكام الله متقدمات في السن، وقد أطلق عليهن هذا الاسم لأنهن يتكفلن بغسل النساء، والأطفال الصغار، وتعددت وظائفهن إلى أوسع من هذا فهن الرقيبات على أحوال المرأة من حيث العبادات والتعاملات ويراقبن الأعراس ويتبعن سير النساء، فإذا لاحظن عصيانا أو تنطعا بلغن الأمر إلى هيئة العزابة كي يتولى النظر في الحكم[2]. ومن أجل مصلحة المذهب سمح سمح للمرأة الاشتراك في الحياة العلمية والسياسية، عن طريق نشر المذهب والعمل على التمكين له[3]. كما كانت المرأة تستشار وتثبت في رأيها بواسطة ثقة في مسألة الزواج[4].

ـ التكافل الاجتماعي : لقد كان المجتمع الوارجلاني مجتمعا متكافلا، اهتم بالعلاقات بين أفراده، وكان معظم الشيوخ يتكفلون بطبقة الفقراء، والمساكين، وقد تصدرهم في هذا العمل جنون بن يمريان الذي كان ثمال لليتامى، والمساكين [5]. وكذلك الشيخ أيوب بن إسماعيل اليرماني المزاتي (أبو سلمان) (500-550هـ/1106-1155م)، الذي كان عالما كريما، خصص دارا لتلامذته متصلة بداره، وجعلها مأوى للضيوف، والوافدين ينفعهم فيها بأطياب ما كسبت يداه [6]، وكذلك داود بن يحي المزاتي (أبو سليمان)، القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، من أشياخ وارجلان كان هو وابنه أبوعروض ممن يعوّل عليهم في الشدائد ويضرب بهم المثل في السخاء والكرم [7]، إضافة إلى ذلك نجد دور العزابة كهيئة اجتماعية تقف إلى جانب العامة فإذا وقعت مسألة شنيعة اجتمع لها كل من بها، ومن ينسب إلى العلم والرأي بحيث كان دأبهم في ذلك الزمان إذا نزلت مسألة أن يجتمعوا للتشاور في النوازل[8].

1 - إبراهيم بن بكير وآخرون : المرجع السابق، مج2، ص 345.
2 - فرحات الجعبيري :نظام العزابةعند الأباضية، المرجع السابق، 75.
3 - بوبة مجاني : **دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة، مجلة الحياة** ، جمعية الحياة، الجزائر، ع 4، 2004، ص156.
4 - فرحات الجعبيري : نظام العزابةعند الأباضية، المرجع السابق، ص 76.
5 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 343.
6 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : المرجع السابق، مج2، ص 128.
7 - نفسه : ص 298.
8 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص ص 422، 423.

ولقد أحدثت بعض التحولات في وارجلان بسبب التجار الوافدين إلى البلاد [1]. إضافة إلى وجود اليهود الذين يسيطروا على التجارة بل ودخلوا حتى المنازل كأطباء [2]، وهذا أبو نوح سعيد ابن زنغيل بعد خروجه من وارجلان، وتقلبه في مواطن من إفريقية يعود إليها من جديد وفي مخيلته تلك الصورة القديمة المشجعة المؤنسة فإذا به يجد البلاد قد تغير حالها[3]، ويذكر" الدريجيني " عن " أبي يحي زكريا بن أبي بكر " " أنه توجه ذات سنة إلى وارجلان زائرا ثم رجع فمر بجماعة فسألوه عن أحوال أهل وارجلان" فقال"إما أنا ذاهب بصري فلا أرى شيئا، ولا رأيت أحدا، وأما وارجلان خلت فما بها أحد" [4]، كما أن أهل وارجلان قالوا له حين وصل إليهم أقم عندنا قليلا نستأنس بك، فقال لهم قولوا أقم عندنا قليلا يمت قلبك لما اطلع عليهم من رداءة أحوالهم[5]، وروي عن "الشيخ أبو نوح سعيد بن يخلف " " أنه قدم على وارجلان زائرا فرأى القوم يغتسلون ويتوضأو ن في ساقية ثم يطلعون منها ويمشون حافية أرجلهم على مرابط الإبل والغنم فانتهرهم، وقال فإذا الذي يقول المشايخ صدق من أن وارجلان ترجع إلى مذهب " الحشوية " [6]، كما أننا نجد من بين المظاهر التي هددت النسيج الاجتماعي ظاهرة نكاح السر الذي خالف ما كان عليه هيئة العزابة من شروط للزواج والتي من بينها حضور الزوجين أو كلاهما أمام الإمام [7]، فقد قال " أبو الربيع " " كان أبو عمران موسى بن زكريا، إذ ذكر في حضرته نكاح السر يغضب حتى تنتفخ منخراه، ويقول "نكاح السر نكاح الشر" [8].في حين كان الزواج في وارجلان يتم تحت هيئة العزابة التي كانت تراعي ما يحدث في مثل هاته المناسبات. [9]

_ بعض المعتقدات :

1 - حسن الوزان : المصدر السابق، ص 136.
2 - مسعود كواشي : **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين** ، ط2، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 76.
3 - عمر خليفة النامي : ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الدولة الرستمية حتى اواخر القرن السادس هجري، في الأصالة، المرجع السابق، ع42، ص 20.
4 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 448.
5 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : المرجع، مج4، ص 494.
6 - الوسياني : المصدر السابق، ص 23.
7 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 90.
8 - أبو زكريا يحي : **تاريخ مشايخ وارجلان وأريغ والجريد في القرن الرابع والخامس هجريين** ، مخطوط موجود بجمعية أبي اسحاق ابراهيم أطفيش، غرداية، رقم 11، ص24.
9 - عبد الرحمن عثمان حجازي : **تطور الفكر التربوي الإباضي في شمال أفريقيا من القرن الأول إلى القرن العاشر هجري**، المكتبة العصرية، بيروت، 2000، ص 53.

ا ـ العلم بالتنجيم : فقد اقترنت العلوم الأخرى من نحو، وصرف، وعلم الحديث، والسنن، والآثار، وعلم الفرائض، والمواريث، بعلم الحساب والتنجيم، وهذا ما ورد في غصن البان عن الشيخ " أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم " أحد بحور العلم الزاخر[1]، وعن وعن " الدرجيني" أنه قال: " حدثنا بعض أصحاب سليمان أيوب بن نوح، قال: سألت أبا سلمان عن ما حصل من علم النجامة قال : رحم الله شيخنا أبي يعقوب عمد إلى العلوم النافعة كعلم القرآن والفقه وعلم اللسان فحملها ابنه أبو إسحاق، ووجد عندنا أفهاما قابلة لعلم لا ينفع يعني علم النجامة فعلمنها، فقلت له ما غاية المنجم المحقق أيعلم يومه متى يكون، قال" أعلم أن غاية المنجم العالم يعرف أسعيد هو أم شقي " [2]، وقد يصل علم التنجيم إلى درجة الاعتقاد بالغيب كما قال " الدرجيني " " عن أبي سليمان أيوب بن نوح " بأنه إذا قال : أجلي يوم كذا كان كما قال " [3]، وهذا ما تنفيه الآية القرآنية :

﴿ ➲🖬🡸○⇩⌛♦✍ ✂♦❶🖋☐✎ 🗭▪🡾🖩♦☼ ❽🗭❻⇳⑨♦✍ 🖋♦✎◆❒﴾
🡾🕭❽❒🛈🗭🖃 ⌛▪🡾🖩♦☼ ❽🗭❻⇳⑨♦✍ 🖋♦✎◆❒ ☎ ✂✡⑨☒🡿
🕮❒❻🡽🡿♦🡾 ✈🖉🖋✂ ☐🎗🗭◑ 🗐 ←☠❑←☺♦✍ 🖫🡻🡽❻❒ 🡼⚐⑩🗭🖬♦🡾 ✂♦🖬🗭⑩⚐🡼
⌘🖂⌛🗭❷❸ 🖮 🡸🗵🗭🡽﴾[4].

ب ـ قصة جغراف : لقد تميزت منطقة وارجلان بأنها مكان فرار لكل من تأزمت الأمور لديه، فقد فر إليها كثير من المشايخ، ويظن الإباضية أن جغراف هي آخر ما بقي لهم في وارجلان[5]، ويقول عنها " أبو زكرياء يحي " بأنه قد وجد في كتاب" لا يبقى مسلم مسلم في آخر الزمان إلا في جغراف،... " ويذكر بأن أبا جدرون قد قال : لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع بنو يجرير بأسرهم بتين باماطوس، وفي موضع آخر يقال له إقليم وارجلان[6].

1 - أعزام : المصدر السابق، ص 185.
2 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 493.
3 - نفسه : ص 493.
4 - لقمان : الآية 34.
5 - سامية مقري : **التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (296-490هـ/909-1018م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف دبوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 76.
6 - أبو زكرياء يحي : المصدر السابق (مخ)، ص ص 65، 66.

ج ـ الاعتقاد بالقبب : عدت القبب في وارجلان بالمئات، وما هي إلا عبارة عن بناءات على بعض الأئمة، وهناك بعض القبب التي ليست فيها ميت مقبور، ولكن هي مقام لبعض المشايخ، والعلماء، وقد اعتقد طبقات البلد بأن هاته المقامات تضر وتنفع بنفسها، أو من تعدى على ما يترك أمامها من الخشب يصاب بعاهة في ماله، أو في نفسه، أو في ذريته[1].

إضافة إلى معتقدات أخرى كاعتقادهم بالعين، والحسد، وفي ذلك ما ذكره " الدرجيني " " عن حال أبي يعقوب عندما أصيب في لسانه ومنع الكلام بسبب نازلة بوارجلان أفتى فيها فاحتبس لسانه، فقال أحد من بني يجرين، " هاج الفحل فتفرقت الفصلان فأصابته عين" [2]، وكذلك ذكر"الشماخي " معتقدا آخرا، وهو أن الميت إذا انفتح فاه، وعيناه لا يغسل وأن الدعاء إذا راجعه القوم عندهم سبع مرارا اختطفه الشيطان[3].

*** المبحث الثالث : التركيبة العمرانية.**

يذكر" larjeau "بأن مدينة وارجلان لم تكن موجودة إبان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وإنما كانت هناك مجموعة من القرى العتيقة، وهي قصر نقوسة، قرية بامنديل، سدراتة، قصرالرويسات بالإضافة إلى قرى أخرى[4]، ليأتي بعد ذلك بني واركلا الذين نزحوا إلى الداخل بحيث استقروا بالمنطقة، وسميت باسمهم [5].فاختطت قرى كثيرة وقصور بوسط حواضر.

ـ الحواضر :

ا ـ **حاضرة سدراتة** : هي واحدة من مدن وارجلان تبعد عنها بحوالي 14كلم سكنها الإباضيون في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، بعد سقوط الدولة الرستمية [6]،

1 - أعزام : المصدر السابق، ص 88.
2 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 423.
3 - الشماخي : المصدر السابق، ص 524.
4 - Larjeau(v) :Op,cit,pp 151/154
5 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 30.
6 -Marguerete VAN_Berchem: **Deux compagnes de fouilles à sedrata(1951-1952)**, conference donnée à l'institut derecherche sahariennes, 1953,p123

ونهضوا بعمارتها بفضل خبرتهم في مختلف الفنون التي اشتهرت بها الدولة الرستمية [1]، لذلك اختلف المؤرخون حول نشأة هذه الحاضرة في أنها كانت موجودة من قبل أم أن بنو رستم هم الذين شيدوها، فقد ذهبت الباحثة الأثرية Marguerete VAN_Berchem بأنه من الخطأ الاعتقاد بأن النازحين من تيهرت إلى وارجلان هم من أنشئوا مدينة سدراتة بل أنهم نهضوا بعمارتها[2].

ب ـ **مدينة تماواط** : ويذكرها "الدرجيني" في حديثه عن الشيخ "أبو نوح سعيد بن يخلف الذي قدم إلى وارجلان زائرا فرأى القوم يغتسلون ويتوضئون في ساقية تماواط ثم يطلعون منها ويمشون حافية أرجلهم على مرابط الإبل والغنم فانتهرهم، وقال " فإذا الذي يقول المشايخ صدق بأن وارجلان ترجع إلى مبدأ الحشوية"[3]، وهذا ما يدل ويعطي انطباعا على أن أهل تماواط أقرب إلى البداوة، إلا أن هذا لا ينفي بأن المنطقة كانت مركزا علميا يستقطب العديد من الشخصيات العلمية فكما يذكر "ليفتسكي" بأن"الشيخ أبو سعيد يخلفتن بن أيوب النفوسي"(550-600 ﻫ)/(1155-1203م) قد انتقل إلى محلة تماواط في واحة وارجلان من أجل الدراسة [4].

ج ـ تين باماطوس : يخبرنا "الوسياني"بأنه:"أهل وارجلان إذا مات من ينظر إليه في وارجلان لايعجلون في دفنه حتى يبعثوا إلى تين باماطوس، وإذا مات بتين باماطوس فكذلك" [5]وهذا ما يؤكد عمق التواصل الإجتماعي بين وارجلان وباماطوس، إضافة إلى ذلك يورد "أبو زكريا يحي"ما لهاته المنطقة من أهمية بحيث يذكر بأن "أبا جدرون" قد قال: "لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع بنو يجريربتين باماطوس"[6].

ـ القصور :

1 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 36
2 - نفسه، ص 36.
3 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 410
4 - تاديوس ليفتيسكي : المرجع السابق، ص 118.
5 - الويسياني : المصدر السابق، ص 81.
6 - أبو زكريا يحي : المصدر السابق، (مخ)، ص 65.

ا ـ قصر وارجلان : وهو النواة الأولى في تأسيس وارجلان مسور، كبير، ويعد من القصور المغلقة[1]، وله سبعة أبواب مصنوعة من خشب النخيل تغلق ليلا، وعند الضرورة في حالات الدفاع ويحيط به خندق مملوء من كل الجهات، لا يصل أحد إلى صورها عدا من ناحية الأبواب[2]، ويتكون من ثلاث أحياء رئيسية، وبه قصر السلطان، ويحتوي على مرافق عمومية سوق، وجامع، ومسجد، وتعرف أبوابه السبع بالأسماء التالية باب السلطان، باب أحميد، باب البستان، باب الربيع، باب رابعة، باب عزي، باب عمر، باب لالة منصورة، ويعد عاصمة لجميع القصور المحيطة به[3].

ب ـ قصر الرويسات : يقع هذا القصر في الجهة الجنوبية لقصر وارجلان، وحسب بعض المراجع فهو يبعد عنه بحوالي 4 كلم[4]، استوطن سكانه قارة كريمة ثم رحلوا من هذه الهضبة واستقروا في ربى صغيرة ذات رؤوس شبه حادة، ولذلك سميت الرويسات تصغيرا لكلمة رؤوس[5].

ج ـ قصر نقوسة : وسماه الرجل الصالح سيدي الصالح بن موسى (624هـ/1227م) كان هو من أسسها كما كان يلي أمرها وله بها مسجد مشهور إلى يومنا هذا يبعد حوالي 18 كلم من مدينة وارجلان[6]، ويقال بأنه أقدم قصر في وادي مية، أعيد بناؤها عدة مرات، عرف النظام الملكي منذ مطلع القرن 5هـ/11م زارها الرحالة المغربي العياشي[7] يتكون من قصر كبير له أربعة مداخل [8].

_ المنازل والمساجد :

ا_ المنازل :

1 - أحمد دكار : المرجع السابق، ص 42.
2 - العياشي : المصدر السابق، ص 115.
3 - أعزام : المصدر السابق، ص 154.
4 - Lethielleux jean : Op, cit. p 217.
5 - أحمد ذكار : المرجع السابق، ص 42.
6 - إبراهيم بن بكير بحاز : مج2، المرجع السابق، ص 484.
7 - العياشي : المصدر السابق، ص 49.
8 - يحي بوعزيز : **ثورات الجزائريين القرنين التاسع عشر والعشرين** ، دار البعث، قسنطينة، 1400هـ/1980م، ص 124.

أما فيما يخص المنازل التي كانت موجودة في هاته القصور، فقد استعمل في بنائها مداخل دفاعية على شكل منكسر، فلا تجد دارا يفتح بابها على بهو أو غرفة، ذلك لسبب ديني أولا ثم لسبب استراتيجي[1]، ولقد تميزت البيوت بزخرفة بارزة على أرضية غائرة بلغ عمقه حوالي 3 سم، تبدو وكأنها شكلت بواسطة أختام لجمالها، وتناسقها، وقد تأثر الفنان الوارجلاني بمحيطه حيث وضع عدة بيتلات على شكل مروحة، تذكرنا بتموجات جريد النخيل، وترتكز في وسطها على شريط بارز منحني باستدارة جدع النخلة[2].

ب _ المساجد :

لقد أولى الإباضية للمساجد كغيرهم من المسلمين أهمية بالغة كون المسجد يمثل مركز الإشعاع الديني لهم، فقد بنى جنون بن يمريان خلال القرن الرابع هجري محرابا، ومسجدا في أول موضع سجد فيه [3]، كما يذكر "Lethielleux" بأن مسجد حاضور (108هـ/726م) هو أول مسجد شيد في مدينة وارجلان [4]، إضافة إلى ذلك هناك مسجد صالح بن موسى الذي أسسه ببلدة نقوسة سنة (624هـ/1227م) هذا إلى جانب محضرة يوسف بن سهلوا (أبو يعقوب) (400-450هـ/ 1009-1058م)ن وهي محضرة كانت معروفة باسم بابا حيا كان يعلم فيها القرآن، وعلوم الفقه واللسان، ولقد كان لهيئة الغسالات النسائية بيوتا خلف المساجد حيث يحضرن صلاة الجماعة ويسمعن المواعظ مع النساء [5]، ولقد كان المسجد في وارجلان مقرا للحلقة منذ القرن السادس هجري [6]، كما كانت توثق عقود الزواج ويعقد النكاح في المسجد[7]، ومن مساجد الإباضية العامرة في وارجلان كذلك كذلك المسجد الكبير المسمى في غرب البلاد لآلة عزى، وهو مسجد الجمعة، وتصلى فيه الصلوات الخمس، ويتلى فيه كتاب الله، وتقام فيه الشعائر الدينية، ويحي فيه ليلة ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتقع فيه الاجتماعات العمومية للإباضية [8]، ويذكر أبو زكريا يحي

1 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 65.
2 - شارل أندري جوليان : **تاريخ افريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830**، تح : محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص34.
3 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : مج2، المرجع السابق، ص 233.
4 - Lethielleux jean : Op, cit, p 20.
5 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الأباضية، المرجع السابق، ص 71.
6 - محمد بن يوسف اطفيش : **الرسالة الشافية**، (د.ط)، (د.س.ن)، 1889، ص 29.
7 - فرحات جعبيري : نظام العزابة عند الأباضية، المرجع السابق، ص 76.
8 - أعزام : المصدر السابق، ص 118.

بان الشيخ أبو صالح النابري البيجاري من بني غسيرت –رحمة عليه الله- كان يصلي في ليلة الجمعة في مساجد وارجلان[1]، وقد عرفت مساجد الإباضية بفصل بيوت قضاء الحاجة عن بيوت الاستنجاء لأنهم يرون أن الاستبراء ضروري بوسائل التطهير الجافة، ثم يتحول بعدها الإنسان إلى أماكن الاستنجاء أو الاغتسال، ثم بعدها إلى مكان يتميز بالطهارة المطلقة وهو مكان الوضوء ومنها الدخول إلى المحراب لأداء فريضة الصلاة، ولقد كان لهذا الأمر التأثير الكبير في شكل البناء للمساجد[2].

نستنتج مما سبق أن حاضرة وارجلان كغيرها من الحواضر، قد حافظت على مالها من خصوصيات، ويظهر ذلك جليا في عمرانها وكذا في بعض عاداتها وتقاليدها، لكن هذا لا ينفي تأثرها بثقافات مختلفة حملتها إليها القوافل التي كانت تعبرها هذا التأثر الذي أن كان له جانب سلبي فان له جوانب ايجابية عدة، تمثلت خاصة في الحركة العلمية وما كان لها من نتاج حضاري. فكيف كان ذلك ؟ وما مدى تأثيرها في الحياة العلمية ؟

1 - أبو زكرياء يحي : المصدر السابق، (مخ) ص 09.
2 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 61.

الفصل الثالث

الحياة الفكرية بوارجلان

* المبحث الأول : الحركة العلمية.

- تطورها.
- نظام العزابة.

* المبحث الثاني : النظام التربوي.

- النظام الهيكلي.
- النظام الداخلي.

* المبحث الثالث : المؤسسات التعليمية وأهم العلوم والعلماء.

- المؤسسات التعليمية.
- العلماء.
- العلوم.

إن الدور الريادي الذي أعطته الدولة الرستمية لوا رجلا ن، وما صاحب القوافل التجارية من حركة ثقافية، جعلت من وارجلان تزخر بالعلم والعلماء وتشهد حركة علمية معتبرة.

*** المبحث الأول : الحركة العلمية.**

_ تطورها :

لقد ازدهرت الحركة العلمية بوارجلان على عهد الشيخ" صالح جنون بن يمريان" الذي كان المسئول الأول على تنشيطها، فلقد عمد الى تيسيير الأموال وسبل الاستقرار لتأدية النشاط العلمي بها والذي بوفاته تضعضع ركن هام من أركان الحركة العلمية بالمنطقة [1]، ونجحت مظاهر التهاون بالدين والاستخفاف بأحكامه، والتهجم لعلمائه وأئمته[2]، في الوقت الذي اقتنع فيه مشايخ الإباضية بأنه لا قدرة لهم على تأسيس إمامة الظهور من جديد[3]، ووجدوا أن أفضل طريقة يحافظون بها على استمرار مذهبهم خاصة بعد مقتل عدد كبير من علمائهم وفقهائهم في موقعة مانو [4]، وموقعة باغاي [5]، هو العودة إلى طور الكتمان والدعوة سرا[6]، فاهتدوا إلى نظام جديد عرف باسم نظام العزابة، الذي يرجع الفضل في استحداثه إلى " عبد الله بن محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي" [7]، والذي استطاع أن يلم شمل الإباضية المتفرقة في الأماكن المختلفة من نواحي تيهرت على نواحي

1 - عمر خليفة النامي : المرجع السابق، ص ص 20، 22.
2 - نفسه، ص 20.
3 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 195.
4 - هي مركة جرت بين النفوسيين وجيش إبراهيم بن أحمد الأغلبي وقع الاقتتال بينهما في قصر قديم يدعى مانو بطرابلس، خسر النفوسيون المعركة ومات منهم إثنا عشر ألف منهم أربعمائة عالم فقيه وبموتهم فقدت تيهرت عدتها القوية ومادة حياتها الروحية فأخذت الدولة في التقهقر، كان ذلك سنة 283هـ، للمزيد ينظر: أبو زكرياء يحي، سير الأئمة واخبارهم، المصدر السابق ، ص 154.
5 - هي معركة كانت بين الإباضية والفاطميين بمدينة باغاي في أقصى إفريقية بين مجانة وقسطيلية، هزم فيها الإباضية شارك فيها شيخين من مشايخ الإباضية أبو خرزيغلي بن زلتاف وأبو نوح سعيد بن زنغيل وقد فروا إلى وارجلان بعد الهزيمة، وكان ذلك سنة 358هـ، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 325، الدرجيني المصدر السابق، ج1، ص 353، عمر سليمان بوعصبانة: المرجع السابق، ص 87.
6 - عوض خليفات: النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية، المرجع السابق، ص 12.
7 - نسبة الى مدينة فرسطاء شرق جبل نفوسة تلقي العلم على يد أبي نوح سعيد زنغيل وأبي زكرياء فصيل بن أبي مصور : انتقل إلى وادي ريغ بعد أن انهى دراسته في القيروان ثم قصد تين سلي أين أسس نظام الحلقة، للمزيد ينظر: الدرجيني : ج1، المصدر السابق، ج1، ص 169. عمر خليفة النامي، المرجع السابق، ص21

الجنوب[1]، ولقد مثل عبد الله بن بكر حلقة وصل بين مرحلتين من مراحل الحياة العلمية بوارجلان، حيت قام ببناء هاته الحركة العلمية ونظمها تنظيما دقيقا وأرسى قواعدها [2] أولا بأريغ[3]، كان ذلك سنة 409هـ[4]، وبعدما تأسس نظام الحلقة بغار أجلو المسمى بغار التسعر[5]، بدأت أحوال أريغ تضطرب ولم تعد الملاذ الآمن كما كانت من قبل، بسبب كثرة كثرة قطاع الطرق، فأصبح الطريق غير آمن للطلبة القادمين لأخذ العلم [6]، طلب الشيخ "أبو عبد الله" من سكان أريغ أن يتصدوا لقطاع الطرق فلاحظ منهم تخاذلا حيث قالوا له: " لا طاقة لنا وما عسى إن نقدر عليهم"، فقال لهم : " نحن إذا نقدر على أنفسنا" [7]، فارتحل إلى وارجلان عقابا لهم على تواكلهم [8]، وبانتقال "عبد الله بن أبي بكر" إلى وارجلان عرفت المنطقة نظام العزابة بل قد تجاوزت ما كانت عليه في مرحلة التأسيس ولعل الفضل في ذلك يعود بالدور الكبير الذي لعبه " أبي عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني" الذي نظم السلطة داخل المجتمع الإباضي بوارجلان، حيث توسعت مهام نظام العزابة لتشمل كل جوانب الحياة، هذا النظام الذي مازال محتفظا بأهميته إلى أيامنا هذه[9].

فما هو مفهوم نظام العزابة ؟، وما مدى تأثيرهذا النظام على تطور الجانب الفكري بوارجلان ؟.

ـ نظام العزابة :

لقد ورد ذكر كلمة العزابة في العديد من المصادر والمراجع بمفهومها اللغوي والاصطلاحي.

1 - إبراهيم أبو يقضان : **الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي**، غرداية، 1986، ص 59.
2 - عمر خليفة النامي : المرجع السابق، ص ص 21، 22.
3 - أبو زكرياء يحي : المصدر السابق، ص ص 265، 266.
4 - فرحات الجعبري:نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 40.
5 - هو اختزال لتسع وأربعمائة هجري/ 1018م، ينظر فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 40.
6 - صالح بن عمر أسماوي : المرجع السابق، ص ص 364، 365.
7 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 167.
8 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 24.
9 - تاديوس ليفتسكي : **المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية**، تر: ماهر جرار وريمة جرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د.س.ن)، ص 66.

فالعزابة لغة يعرفها " ابن منظور " في لسان العرب : بعزب يعزب عزوبة، وعزب في الأرض أي بعد، وعزبت الإبل أي أبعدت المرعى، واعزبها صاحبها أي بيتها في المرعى، وكل منفرد عزب، والعزاب الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء [1]، أما " أسماوي " فرأى أن كلمة عزابة مشتقة من عزب يعزب عزوبا من العزوب كفعول مضموم الفاء والعين وجمعه عزاب ومفرده أعزب، تفيد معنى تغيب الإنسان عن أهله ومتاعه [2]، ونفس التعريف رجع اليه " Ahmed bakelle " ، حيث يقول : " بأن العزابة مشتقة من العزوب، وعزب عن الشيء ابتعد عنه، وهي تعني التعبد والتفرغ في خدمة المصلحة العامة دون التفكير الشخصي [3]، واستعملت عزب في القرآن الكريم بمعنى الغياب لقوله تعالى :

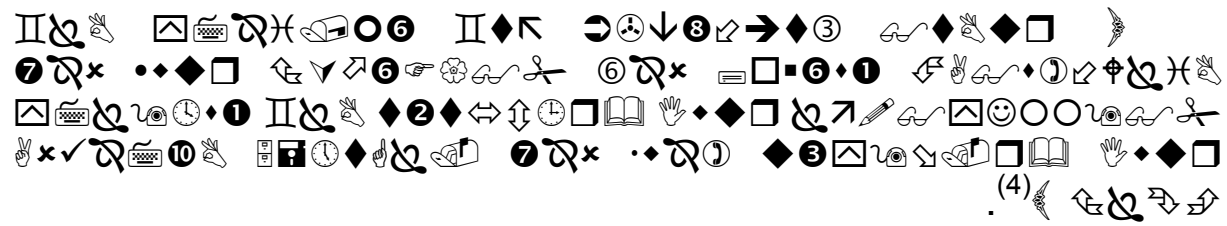

وقد فسرها " ابن كثير " بمعنى لا يغيب عن علمه ولا بصره عز وجل مثقال ذرة في حقرتها وصغرها في السموات ولا في الأرض ولا أصغر منها ولا أكبر [5].

أما المعنى الاصطلاحي فيقول " الدرجيني " " بأنه أول ما استعمل هذا اللقب أي العزابة كان في أيام أبي عبد الله محمد بن بكر لما أسس نظام الحلقة، ورتب قوانينها [6]، فنظام العزابة ما هو إلا استعمال ثان لنظام الحلقة، إلا أن نظام العزابة أوسع دائرة لأنه كما يشرف من أول أمره على سير الحلقة يشرف كذلك على تسيير شؤون المجتمع [7]، كما

1 - أبي الفصل (ابن منظور) : **لسان العرب**، مج4، دار صادر، بيروت، 1997، ص 324.
2 - صالح بن عمر أسماوي : المرجع السابق، ص 294.
3 - Ahmed Bakerelle: **De l'histoir des ibadites au maghreb**, regard libre sur les chroniques d'abu zaqaria, alger, 2009, p 364.
4 - سورة يونس الآية 61.
5 - إسماعيل بن عمر(ابن كثير) : **تفسير القرآن العظيم**، تح: طه عبد الرؤوف سعد، ج3، مكتبة الإيمان، مصر، 1996، ص 106
6 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 4.
7 - صالح بن عمر أسماوي : المرجع السابق، ص 293.

يضيف " الدرجيني " " بأن العزابة وأحدهم عزابي هي لفظة استعملت لقبا لكل من لزم الطريق، وطلب العلم، وسير أهل الخير، وحافظ عليها، وعمل بها "[1].

فالعزابة أولئك الذين عزوا عن أهليهم وانفردوا عنهم بانقطاعهم إلى الله، وانشغالهم بأمر دينهم[2]، وهذا " أبي عمار عبد الكافي " يجيب تلاميذه عندما أجمعوا في سؤاله عن معنى العزابة، فقال لهم: "أصل العزابة اشتقاقها من العزبة، والعزلة، والغربة، والتصوف، والتهجر على رؤوس الجبال، فذلك العزاب [3]، ومن خلال هاته التعريفات نجد أن كلمة العزابة قد أخذت معنى البعد إلا أنه بعد عن شهوات الدنيا وكمالياتها، وأن لا يجعل للدنيا قيمة كبرى أقبلت أو أدبرت[4].

وكان العزابة جماعة ينتخبون من أهل الورع والصلاح، والتفقه في الدين، والأمانة، والصدق، ويتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقومون بجميع الوظائف الدينية والدنيوية[5]، لقد وضع " أبو عمار عبد الكافي " شروط محددة لكل من يرغب بالانضمام إلى هذا النظام هذه الشروط تميز أعضاء نظام العزابة عن غيرهم من عامة الناس فيشترط على العضو أن يكون :

كيسا أديبا، مستمرا في طلب العلم، لا يكثر دخول الأسواق، لابد أن يغسل جسده بماء وقلبه بماء وسدر[6]، أما الجسد فيغسله من الدنس من الناس، وأما القلب فيغسله من الغش والتكبر وما أشبه ذلك[7]، أن يكون إباضيا عالما متفانيا في خدمة مذهبه وأتباعه، أن يكون حافظا للقرآن الكريم عن ظهر قلب، أن يكون زاهدا في الدنيا وملذاتها، أن لا يكون حقودا أو حسودا أو متكبرا[8]، أن يكون ملتزما بمبادئ الشريعة الإسلامية، متصفا بالورع،

1 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 4.
2 - محمد ناصر : **حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي**، جمعية التراث، الجزائر، 1989، ص 11.
3 - أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني : سير ابي عمار، المصدر السابق، (مخ) ، ص 2.
4 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص ص 49، 50.
5 - نفسه : ص 50.
6 - هي شجرة النبق الواحدة بها سدرات وسدرات، ينظر: الفيروز أبادي، **القاموس المحيط** ، ج1، دار العلم للجميع، لبنان، 1992، ص 46.
7 - أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني : سير ابي عمار، المصدر السابق، (مخ)، ص 2.
8 - عوض خليفات : النظم الاجتماعية التربوية، المرجع السابق، ص ص 14، 15.

بالورع، متحليا بالأخلاق الفاضلة، معمرا للمسجد، حاضرا لمجالس الذكر، منقطعا للعبادة، أن يكون عمله لله وحده[1].

ـ المبحث الثاني : النظام التربوي.

أ ـ النظام الهيكلي :

إن لكل نظام من أنظمة الحكم مهما كان نوعها وجود من يشرف عليها، ومن يمتثل لأمور هذا المشرف، وكذلك كان العزابة بمثابة الراعي أو الإمام، وبقية الناس هم الرعية، فلقد جمع نظام العزابة بين التعليم والتكوين والتدريس والتوجيه وبين الشكل والجوهر والروح والمخبر بأسس ثابتة منظمة، بحيث تتكون هيئة العزابة من اثنا عشر عضوا يكونون المجلس الديني غالبا ولا يتجاوزنه إلا إذا اقتضت الضرورة العملية ذلك، مثل التوسع الديموغرافي وتنوع مصالح الناس مما يتطلب التفرغ لكل ذلك [2]، وقد يصل في بعض الأحيان إلى أربعة وعشرين عضوا، وفي جميع الحالات نجد خمسة من بين أعضاء المجلس يعتبرون اكبر أهمية من زملائهم أما البقية فهم أعضاء مساعدون يقومون بما يكله لهم شيخ العزابة وأعوانه [3]، فهم بذلك صنفان : آمر ومأمور [4]، فالآمرون هم عصب النظام التعليمي للحلقة والذين تقع على عاتقهم مسؤولية تبليغ الرسالة الدينية والعلمية التي من أجلها تأسس نظام الحلقة، ويصنف الآمرون إلى :

1- الشيخ : وهو رئيس مجلس العزابة والمسئول الإداري عن التعليم في المدارس[5]، ومن مهامه : الجلوس لطلبة فنون العلم، والجلوس بأثر الختاما ت للجواب عن أسئلة والوعظ والإرشاد[6]، يقلد من العرفاء من حمدت أفعاله ومن عيب عليه شيء فإن

1 - محمد بلقاسم ناصر بو حجام : **البعد الروحي لنظام حلقة العزابة**، جمعية التراث، الجزائر، 2007، ص 11.
2 - محمد ناصر : المرجع السابق، ص 12.
3 - عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية، المرجع السابق، ص 16.
4 - أبو الفضل أبو القاسم بن إباهيم البرادي: **الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات** ، طبعة حجرية، القاهرة، 1865، ص 207.
5 - عبد الرحمن عثمان حجازي : المرجع السابق، ص 156.
6 - البرادي : المصدر السابق، ص 208.

كان كبير فالخطة، وإن كان صغير فيؤدب[1]، قبول الطلبة في الفصول الدراسية وله رأي في قبول عابري السبيل، يتولى الفصل بين المختلفين فيأخذ من الظالم إلى المظلوم[2].

2- العرفاء : وهم من يدير الأمور ويقوم على سياسته[3]، وهم صنفان منفرد وغير منفرد، فالمنفرد اثنان: عريف أوقات الختامات والنوم، وهو أبرز شخصية بعد الشيخ، حيث يشرف على السير الحسن للعمل التربوي داخل المدرسة [4]، ومهامه دعوة الطلبة إلى حضور الختمة عند حضور الدروس الصباحية ، وختمه بعد صلاة العشاء، كما يدعوا إلى نوم الهاجرة [5] الإجباري ويراقبهم أثناء النوم ويدعوا كذلك إلى النوم بعد ختمة صلاة العشاء[6]، أما عريف الطعام فهو الناظر والمشرف على أوقات الطعام، له حدود يقف عندها وأشياء متسع فيها [7]، من مهامه مراقبة الطلبة أثناء الأكل وحثهم على الأدب، والاستفسار عن سبب غيابهم عن أوقات الطعام كما يراقب زيي الطلبة أثناء الأكل ويفرض عليهم إحضار الماء أثناء غسل اليدين [8]، كما يشرف على الوجبات الإضافية كوجبة الضحى ووجبة العصر [9]، أما غير منفرد فهم العرفاء من حملة القرآن منهم من يكتب عليه طلبة القران ألواحهم، ويحفظونها[10] عليه وهم : عريف على أوقات الدراسة وتتمثل مهامه في تسجيل أسماء المتأخرين والغائبين والإشراف على انتظام الطلبة في الصفوف المدرسية، ينوب المدرس أثناء غيابه، مراقبة الطلبة عند الاستفتاح، عدم السماح للطلبة بتناول الطعام بغير أوقات الأكل المحددة[11].

والمأمورون : وهم الطلبة داخل الحلقة، وهم صغار وكبار، الكل يجتهد بالضوابط التي رسمها المشايخ[12]، وهم ثلاثة أصناف، طلبة القرآن[1] : يقرؤون ألواحهم بين الظهر

1 نفسه، ص 209.
2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 172.
3 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 124.
4 - عبد الرحمن عثمان حجازي : المرجع السابق، ص 195.
5 - وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر ومن عند زوالها إلى العصر لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا، ينظر: الفيروز أبادي : المصدر السابق، ج2، ص 158.
6 - البرادي : المصدر السابق، ص ص 209، 210.
7 - عبد الرحمن عثمان حجازي : المرجع السابق، ص 262.
8 - الدرجيني : المصدر السابق، ص ص 175، 176.
9 - عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية، المرجع السابق، ص 69.
10 - البرادي : المرجع السابق، ص 209.
11 - عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية، المرجع السابق، ص ص67، 68.
12 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 96.

والعصر حتما وبعد العصر استحباب [2]، أما عن صفة هيئتهم فيشتملون فلا يظهر من أجسادهم شيئا ويسندون ألواحهم إلى الأساطين [3]، ويقابلون غير مستندين وقد أبيح لهم الاستناد في غير هاذين الوقتين[4].

أما عن طلبة الفنون والعلم والآداب وهم الصنف الثاني من المأمورون، منهم أصحاب اللوحات وهم الصغار في السن بحيث ينبغي لهم التأسي بطلبة القرآن في ترك الاستناد [5]، أما عن أصحاب الكتب فيستندون إلى أركان المسجد والأبواب والأساطين، حيث ما استحسنوا لهم أن يجتموا للبحث والمناظرة في وقت معتاد[6].

وأما الصنف الثالث فهم صنف العاجزون، والطرش، والعميان، والزمنة، والهارمون، وذوي الأفهام القاصرة، فهؤلاء عليهم الإصغاء والاستماع ليحصلوا على الفوائد، والأخلاق الحميدة، ويظهرون التلهف والاشتياق، وعليهم حفظ السير والمحافظة على الأوقات[7].

ب ـ النظام الداخلي :

إلى جانب التنظيم الهيكلي للعزابة والذي وضع منذ الظهور الأول للنظام اجتهد الإباضيون في وضع نظام داخلي خاص بالحلقة لضبط نظام التعليم فيها وتنظيم الدراسة لأجل السهر على خدمة المذهب والمحافظة على استمراره.

ا ـ نظام الدراسة وأوقاتها :

يتلقى الطلبة الأوامر من طرف الآمرون أي الشيخ والعرفاء، ولجميع هؤلاء الطلبة أوقات مختصة بهم، وهم ثلاثة أقسام كما أوردنا سابقا، طلبة القرآن، وطلبة فنون العلم

1 - البرادي : المصدر السابق، ص 208.
2 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 178.
3 - وهي السواري بالمسجد.
4 - البرادي : المصدر السابق، ص 214.
5 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 142.
6 - البرادي : المصدر السابق، ص 214.
7 - نفسه، ص 215.

والآداب، والعاجزون، ولجميعهم أوقات يختصون بها[1]، أما عن الدروس اليومية فهي تبدأ في الثلث أو الربع الأخير من الليل، حيث يشرع في الاستفتاح وقراءة القرآن إلى الفجر، يقيمون الصلاة ثم يواصلون دروسهم بعد تناول طعام الفطور، حيث يشرع العديد في تحفيظ التلاميذ ما أخذوه في الدرس السابق ويملي عليهم ما يجب حفظه في الدرس القادم [2].

وعندما تنتهي الدروس الصباحية يجمع العريف الطلبة لقراءة الختمة الصباحية، وهي بمثابة الإعلان لانتهاء فترة دروس الصباح، بعد ذلك يجتمع شيخ العزابة بالتلاميذ، والطلبة للرد على تساؤلاتهم في مختلف أنواع المعرفة[3]. ولقد كانت هناك عدة طرق كلها حميدة لطرح الأسئلة، فهم مخيرون بين أن يتداولوا وضع السؤال يوما يوما، فمن أفضت إليه النوبة يسأل، وأما أن يسأل أفصحهم لسانا، وأكثرهم بيانا، وإما أن يسأل أكثرهم اجتهادا، أما عن الإجابة فإن كان الجمع عاما يعيد السؤال من على يمين الشيخ ومن يليه، وإن كانوا أماثل يحيل كلا السؤال على يمينه حتى يعود السؤال إلى الشيخ فإن علم الشيخ بأن في المجلس من أعلم منه في تلك المسألة، أذن له بالكلام فإن أبى تلكم وحده[4]، وعندما ينتهي الطلبة من من طرح الأسئلة يقوم الشيخ ومن معه فيصلون نافلة الضحى، ثم ينصرف الشيخ ويتبعه الطلبة تكرما وتأنسا به[5]. وعندما ينصرف الشيخ تقدم للطلبة وجبة من الفواكه أو البلح [6]، البلح[6]، وفي مثل هذا يذكر" الوسياني" " قصة أبو يعقوب ابن الشيخ أبي عبد الله الذي انتهر أبو عمار يوسف بن جنون عندما أتاه بشيء من البسر والفقوس وقال له أتجري عليا بمثل هذا اذهب بذلك للعزابة " [7]. وبعد الانتهاء من تناول الوجبة يدعو عريف الختمات وأوقات النوم الطلبة إلى نوم الهاجرة[8]، أما الفترة المسائية وتبدأ بعد الظهر حيث يتم قراءة قراءة الألواح وجوبا ثم تقدم الوجبة الإضافية الثانية[9]، وعند الغروب تكون قراءة القرآن،

1 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 231.
2 - البرادي : المصدر السابق، ص 212.
3 - نفسه : ص ص 214، 215.
4 - فرحات الجعبيري : نظام العزابة عند الاباضية، المرجع السابق، ص 100.
5 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 233.
6 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 196.
7 - الوسياني : المصدر السابق، ص 40.
8 - البرادي : المصدر نفسه، ص 209.
9 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 174.

والختمة، ثم الدعاء [1]، ثم يصلون العشاء، وبعد استراحة قصيرة تقام الختمة النهائية ثم ينادى إلى النوم[2].

ب ـ الامتحانات : لم تقتصر مهمة الآمرون في نظام العزابة على تلقين الدروس، بل كان لابد من معرفة المستوى الذي وصل إليه الطلبة في تحصيلهم العلمي، وذلك باختبارهم عن طريق وضع مراقبة يومية، يقوم بها عريف طلبة القرآن الذي يقوم باختبار الطلبة ثلاث مرات في اليوم: الأولى مع بداية الدرس كل يوم ثم أثناء الوجبتين الإضافيتين عند الضحى، وعند العصر [3].أما الامتحانات الأسبوعية فتكون أيام الاثنين والخميس والجمعة، بحيث يجمع الشيخ الطلبة ويسألهم عن أحوالهم[4].

ج ـ العقوبات : لقد وضع الإباضية عقوبات صارمة يلجأ إليها المشائخ في تأديب الطلبة، وذلك من أجل ضبط النظام، وتتمثل أهمها في :

أولا : التوبيخ لمن اقترف ذنبا صغيرا[5].

ثانيا : الجلد، حيث يذكر" الدرجيني" بـأنه إذا كان التلميذ صغيرا فإنه يجلد في الزاوية عقابا له على عدم القيام بواجبه[6].

ثالثا : حرمانه من الحضور إلى وجبات الأكل إذا لم يطبق آداب الأكل، أو لم يتقيد باللباس الرسمي[7].

رابعا : الخطة، تكون للتلميذ الكبير عقابا له متى أجرم في القول والعمل [8]، كأن يشتغل بغير الدراسة أو النوم في وقت الاستفتاح أو إزعاج الآخرين أثناء نوم الهاجرة[9].

1 - عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية، المرجع السابق، ص 68.
2 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 174.
3 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 236.
4 - البرادي : المرجع السابق، ص 208.
5 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 237.
6 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 177.
7 - عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية، المرجع السابق، ص 82.
8 - عيسى بن الديب ومسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 71.
9 - البرادي : المصدر السابق، ص ص 212، 213.

خامسا : البراءة، وهي أشد أنواع العقاب وتوقع عادة بالشخص الذي ارتكب إثما كبيرا، ويستحق عليه البراءة لأن البراءة عند الإباضية تكون من الكفار والمشركين [1]، ويعتزله الجميع حتى أقرب الناس إليه إلى أن يتوب عن فعلته أمام الملأ[2].

*** المبحث الثالث : المؤسسات التعليمية وأهم العلماء والعلوم.**

ا ـ المؤسسات التعليمية :

نظرا للتطور الذي حازه نظام العزابة في المجتمع الإباضي في وارجلان والدور الكبير الذي كانت تلعبه هذه الهيئة في النشاط الفكري ، والتربوي توجب إيجاد أماكن تعليمية يتلقى الطلبة فيها دروسهم ويحد فيها العلماء المتنفس للإفضاء بما من الله عليهم من العلوم ونجد من أهم المؤسسات التعليمية :

ا ـ الغيران : وتعد من أهم المراكز التعليمية بوارجلان بحيث أنه كان الطلبة يحفرونها مع المشائخ، منها ما هو على سفوح الجبال، ومنها ما هو على شكل سراديب ينزلون إليها، وكان بناء الغيران منه عهد" صالح جنون بن يمريان"[3]، ويصف" الدرجيني" الدرجيني" الطلبة أنهم كانوا ينقلون اجتماعاتهم للدرس في الغار هناك، وإذا كثر الطلبة انتقلت الجماعة إلى غار واحد فكان الشيخ ليلة عند هؤلاء وليلة عند هؤلاء [4]، وقد استعملت هاته الغيران لأنها تتناسب مع مرحلة الكتمان لأنها كانت أقرب للسرية: فكان الشيخ " أبا عبد الله محمأد بن بكر " قد طلب قبل قدومه إلى أجلو [5] أن يحفر له غارا غارا [6] وكان الغار ينظف ويكنس من طرف العزابة وشيخها وظلت الغيران مركزا للتعلم للتعلم والتعبد بالإضافة إلى الغيران كان الطلبة يتلقون تعليمهم تحت الأشجار، يقول "الدرجيني "بأنه قد رأى حلقتين للطلبة تحت شجرتين طلبة الفقه وطلبة الأصول [7]. إضافة

1 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 237.
2 - أبو عمار عبد الكافي: سير ابي عمار، المصدر السابق، (مخ)، ص 2.
3 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 62
4 - الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 194.
5 - هي مدينة كانت تقع قرب بلدة عمر الحالية، شكلت عاصمة ثقافية كبيرة ، اشتهرت بالصلاح والعلم، اتخدها أبو عبد الله محمد بن بكر موطنا له ولطلبته.ينظر : الوسياني :المصدر السابق ، ص 84.
6 - سليمان بن عبد السلام أبو الربيع الحسن بن عبد الله الوسياني: **السير**، مخطوط موجود في مكتبة أبي اسحاق ابراهيم أطفيش، غرداية، رقم 24، ص 301.
7 - الدرجيني : المصدر السابق ، ج1 ، ص 193.

إلى ذلك نجد كهف السلطان الذي ذكره "Larjeau"عندما قام بأبحاثه في المنطقة سنة 1878م، بأنه يبعد عن بمنديل باثنا عشر كيلومتر، والذي كان به ثلاث طوابق تتوزع عليها ثمانية غيران[1]، وكذلك جبل العباد الذي كان مركزا للعبادة والذي كان به مجموعة هائلة من المحاريب تبلغ خمسمائة محراب [2]، إلى أن أتى الشيخ" تاروراس بن يوسف" سنة 441هـ، فبنى المسجد الكبير.

ب ـ المساجد : قد تحولت حلقات التعليم من الغيران إلى المساجد منذ أن بني المسجد الكبير [3]، والذي يذكر" الدرجيني" بأنه انتقل إليه جموع الطلبة بجملتهم [4]، وقد كانت المساجد في وارجلان يتوسط أكبرها المدينة أما المساجد الصغرى فإنها تتوزع على الأحياء[5]، لأنها كانت كلما قويت دعوة الإباضية في المنطقة فإن أتباع المذهب يؤسسون مسجدا بأنفسهم فيعقدون فيه حلقاتهم[6] العلمية، ويتلقون فيه دروس الوعظ[7]، كما أنه كانت كانت المساجد مجمع يجتمع فيه العلماء لمناقشة أي نازلة[8].

ج ـ المدارس : ويذكر" إلياس بن عمر الحاج عيسى" بأنها كانت عبارة عن مدارس متنقلة تفتح أبوابها أمام طلبة العلم، كما أنها تضم مدارس داخلية لإيواء الطلبة القادمين من مناطق بعيدة عن وارجلان، وتقدم لهم الإمكانيات التي تساعدهم على تنظيم أحوالهم [9]، وذلك عن طريق التبرعات والزكاة والأوقاف أو من طرف الشيوخ الميسورين الحال اللذين ينفقون من أموالهم الخاصة على تلاميذهم[10].

ـ العلماء :

1 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 63.
2 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 63.
3 - الوسياني : المصدر السابق، ص 24.
4 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 193.
5 - عمر سليمان بوعصبانة : المرجع السابق، ص 57.
6 - إلياس بن عمر الحاج عيسى : **مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (4-10هـ/10-16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2009، ص 109.
7 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 239.
8 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص399 و أعزام: المصدر السابق، ص 22
9 - إلياس بن عمر الحاج عيسى : المرجع السابق، ص 110.
10 - الشماخي : المصدر السابق، ص ص 382، 406.

زخرت وارجلان بمجموعة كبيرة من العلماء، الذين ترجم لسيرتهم وأعمالهم المؤرخين الإباضيين وغيرالإباضيين كأبي زكرياء يحي، والدرجيني والشماخي وليفتسكي، وعلي يحي معمر، وغيرهم، ومن بين هؤلاء العلماء الأجلاء نذكر :

- يحي بن أبي بكر بن سعيد اليهرساني الوارجلاني : (أبو زكرياء)(ت 471هـ/ 1078م)[1]، يصنفه " الدرجيني " في الطبقة العاشرة [2]، نشأ وترعرع ودرس بوارجلان[3]، وهو صاحب كتاب السير وأخبار الأئمة الذي اعتمد عليه أصحاب السير وطبقات الإباضية استطاع أبو زكرياء أن يكون على يده طلبة واصلوا من بعده من أبرزهم أبو الربيع الوسياني وعمر بن عثمان السوفي[4].

- أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني : (500هـ/ 110م ت سنة 570هـ/ 1145م)، بسدراته [5] صنفه " الدرجيني " ضمن الطبقة الثانية عشر، وهو من أشهر علماء وارجلان الذين خلدوا ذكراها ورفعوا من شأنها [6]، درس علوم القرآن وعلوم اللسان، والنحو واللغة، وتصريف علم الكلام والمنطق، وعلم الحديث، وعلم الحساب والتنجيم[7]، لقد قال عنه " الدرجيني " " هو بحر العلم الزاخر المسخر للنفع الجامع لكل أمه أمه " [8] أهم مؤلفاته شرح القرآن في سبعين جزء[9]، وكتاب الدليل والبرهان لأهل العقول العقول والقصيدة الحجازية، وكتاب مرج البحرين في الفلسفة[10]، خلف من ورائه أبنه "أبي إسحاق"، حمل عنه ما ترك من العلم[11].

- أبو عمار عبد الكافي : بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني، (ت قبل 570هـ/ 1174م)، عالم شهير من علماء عصر الازدهار

1 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : المرجع السابق، مج4، ص 948.
2 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 448.
3 - أبو زكرياء يحي : المصدر السابق، مخ، ص 23.
4 - تاديوس ليفتسكي : المرجع السابق، ص 136.
5 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : المرجع السابق، مج4، ص 1010.
6 - الشماخي : المصدر السابق، ص 443.
7 - عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي : المرجع السابق، ص ص 71، 72.
8 - الدرجيني : المصدر السابق، ص 491.
9 - نور الدين أبو محمد عبد الله السالمي : المرجع السابق، ص 18.
10 - علي يحي معمر : الاباضية ص ص 231/203.
11 - الدرجيني : المصدر السابق، ص 493.

العلمي لوارجلان ولد بقرية التناوت من قرى وارجلان وإليها ينتسب [1]، نشأ في بيت علم وعبادة وصلاح، وفي جو محافظ على التعاليم الدينية، والقيم الخلقية[2]، صنفه الدرجيني في في الطبقة الثانية عشر، قال عنه "أحي به الله رفات المذهب وجمع شتاته"، وهو إنسان ورع سخي [3]، تعلم علوم اللسان وتدرب على اللسان العربي، وتميز في علم الكلام والجدل[4]، وتعجب أقرانه من علمه وحفظه ومواظبته وورعه، وقد كانت ترد إليه الأسئلة من طرف الفقهاء، فهذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن نامير الأنصاري يرفع إليه عن مسألة اختلف فيها الفقهاء وهي مسـألة الوعد والعيد والثواب والعقاب، فرد عليه قائلا "التواب عند الأشعرية غير محتوم به ولا جزاء مجزوم وإنما هو فضل من الله" [5]، لقد لعب دورا كبيرا في تنظيم حلقة العزابة وهيكلتها [6]، أهم مؤلفاته كتاب شرح الجهلات وكتاب الاستطاعة وكتاب الموجز على كل خلاف للحق[7].

ـ يوسف بن خلفون الوارجلاني : (أبو يعقوب 550-600هـ/1155-1203م) أحد أئمة القرن السادس في بلاد المغرب، نشأ بقرية تينباماطوس من قرى وارجلان [8]، صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشر، وقال عنه هو المحقق للوصول إلى الغاية في علم الفروع والأصول، إن درس فلقن أحسن التلقين، وإن أفتى فمغترف من عذب معين، لا يخشى منه تعسف، ولا يدرك ألفاظ تكلف، كثير الإطلاع على مسائل الاتفاق والاختلاف[9].كان أبو يعقوب لغزارة علمه يتحدى من يتعرض له في النقاش، ولا يضفي على ما كتب السابقين ثواب القداسة، ولا يرفعها إلى مكان العصمة من الخطأ، هذا الأمر جعل من الفقهاء المتشددين من عصره أن يحاربوه [10]، ويجعلوه في الخطة والهجران،

1 - إبراهيم بن بكير بحاز وآخرون : المرجع السابق، مج3، ص 539.
2 - أعزام : المصدر السابق، ورقة 183.
3 - الدرجيني : المصدر السابق، ص ص 485، 486.
4 - تاديوس ليفتسكي : المرجع السابق، ص 60.
5 - أبو عمار عبد الكافي الورجلاني : **جواب عبد الكافي بن ابي يعقوب عما اختلف فيه المتكلمون** ، مخطوط موجود بمكتبة ابي اسحاق ابراهيم اطفيش ، غرداية، ص230
6 - تاديوس ليفتسكي : المرجع السابق، ص 67.
7 - علي يحي معمر : المرجع السابق، ص 207.
8 - إبراهيم بكيز بحاز وآخرون : المرجع السابق، مج4، ص 1023.
9 - الدرجيني : المصدر السابق، ص 495.
10 - علي يحي معمر : المرجع السابق، ص 214.

لكنهم غيروا موقفهم منه آخر الأمر واعترفوا بفضله بسبب تآليفه التي تشهد على غزارة علمه، والتي منها أجوبته الفقهية ورسالته إلى أهل جبل نفوسة[1].

- العلوم :

وما دل عنها تلك الكتب التي أبدع في تأليفها علماء أجلاء بوارجلان في العلوم النقلية والعقلية، فقد ألف يعقوب بن يوسف بن إبراهيم الوارجلاني كتاب التفسير الكبير، حيث يقول صاحب اللمعة المرضية عن البرادي بأنه لم يرى كتاب عجيب ولا أضخم منه فهو يجاوز سبعمائة ورقة في تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران، ولقد أبدع في لغته وإعرابه وفي الناسخ والمنسوخ منه بل في جميع العلوم [2]، إضافة إلى كتاب العدل والإنصاف، وكتاب الموجز في الرد على كل من خالف الحق، وهو في جزأين: كما اهتم علماء وارجلان بتدريس اللغة، والآداب، والنحو[3]، بالإضافة إلى علم الكلام الذي أبدع فيه فيه عمرو بن عثمان خليفة السوفي، فكان علامة متكلما وجدليا بارزا، وقد ألف في هذا العلم كتاب السؤالات ليضيفه إلى ما ألفه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني [4]، وكتابه الدليل والبرهان، كما كان لعلم الفقه نصيب وافر من اهتمام علماء وارجلان، وذلك لأسباب مذهبية سعيا منهم لعدم انسياق الطلبة وراء مخالفي المذهب [5]. كما اهتم علماء وارجلانم بالتاريخ، وكان نتاج التأليف فيه واسعا، ومن بين المؤلفات نجد كتاب السير وأخبار الأئمة لأبي زكرياء يحي، وطبقات المشائخ لأبي العباس الدرجيني، وغيرهم[6].

لقد استطاعت وارجلان أن تواصل مسيرة الحركة العلمية ، بعد سقوط الدولة الرستمية ، وأهم ما ميز هاته الحركة هو ظهور نظام جديد ساهم في تنظيم مختلف الجوانب الحياتية بها وهو ما عرف في التاريخ الاباضي بنظام العزابة والذي بالرغم من أنه لم يكن وليد المنطقة، إلا أنه تطور بها.

1 - إبراهيم بن بكيز وآخرون : المرجع السابق، مج4، ص 1023.
2 - علي يحي معمر : المرجع السابق، ص 18.
3 - نور الدين أبو محمد عبد الله السالمي : **اللمعة المرضية من أشعة الإباضية** ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1981، ص 207.
4 - تاديوس ليفتسكي : المرجع السابق، ص 78.
5 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 497.
6 - تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص ص 52، 136.

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية لوارجلان

* المبحث الأول : مع بلدان المغرب الإسلامي.

- الوضع السياسي.
- العلاقات التجارية.
- الحركة الثقافية.

* المبحث الثاني : مع بلاد المشرق الإسلامي.

- طريق الحج.
- حملة العلم.

* المبحث الثالث : مع بلاد السودان الغربي.

- العلاقات التجارية.
- الأثر الثقافي.

تبوأت وارجلان مكانة هامة علميا، واقتصاديا، وثقافيا، خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية، توجه ورثة هاته الدولة إلى وارجلان، خوفا من بطش العبيدين باعتبارها الملاذ الآمن لهم، كونها جزء من الدولة الرستمية التي لم تمتد الشيعة إليها بعد، فأصبحت بذلك وارجلان وريثة الدولة الرستمية رغم اقتصار الوجود الإباضي على النواحي المذهبية، والحضارية فقط[1]، مما انعكس على علاقاتها الخارجية مع مختلف الأقطار تأثيرا وتأثرا.

المبحث الأول : مع بلدان المغرب الإسلامي.

_ الوضع السياسي :

تميز المغرب الإسلامي في العصر الوسيط بعدم وجود استقرار سياسي أو حدة جماعية حققت له الانسجام والتكامل بين شعوب المنطقة، ومنذ ظهور الفاطميين على ساحة المغرب وهو يعاني الاستقرار [2]، ولقد نشأت علاقة عداء بين وارجلان والفاطميين كان ذلك من خلال إرسال أبو عبيد الله الشيعي جيشا إلى وارجلان لتأديب سكانها على ترحيلهم ببقايا الأسرة الرستمية[3].

ولولا أنهم تحصنوا بالكدية المعروفة بكريمة لقضى عليهم عسكر الشيعةن حيث أن العسكر أتوا على ديار وارجلان، ودمورها، وحاصروا أهلها في الكدية التي تحصنوا بها حتى يهلكوهم عطشا[4]، لكن أهم وارجلان اهتدوا إلى خطة لابعادهم، حيث قدموا للجمال بدل الماء زيتا، فجعلت الجمال كلما رأت القصاع مملوءة حسبتها ماءا، فتنتقع برؤوسها وتنشر بأنوفها، فلما رأى العسكر ذلك اعتقدوا أن الحصار الذي توقوه على الرستميين قد

1- موسى لقبال : من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، (مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت ؟ أو نقلت عيونها إلى سدراتها في جوار بني وارجلان ؟) في الأصالة، المرجع السابق، العدد 42، ص 58.
2- إبراهيم فخار : تجارة القوافل في العصر الوسيط، ودور التجار الليبيين في حضارة حتى نهاية القرن 19، المرجع السابق، ص 47.
3- موسى لقبال : من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، (مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت ؟ أو نقلت عيونها إلى سدراتها في جوار بني وارجلان ؟) في الأصالة، المرجع السابق، العدد 42، ص 58.
4- الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص 95.

فشل فقالوا ما هذا إلا عن ماء جم لا تكنسه الدلاء، ففي ما المقام فارتحلوا وفشل حصارهم[1].

وبعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر ظهرت على الساحة السياسية الدولة الضهاجية، التي كانت في بادئ الأمرها تدين بالولاء للدولة الفاطمية، لكن الأمر تغير بعد ذلك بحيث أعلن الضهاجيون عداءهم للشيعة وللمذاهب الأخرى غير السنية، والتي كانت من بينها الإباضية [2]،حيث اجتازوا على بلاد أريخ وعلى كدية بني غمرة كما ذكر "الدرجيني"[3]، وعلى قلعة بني درجين التي قتل الإباضية بها واستباحوا دماءهم، وهذا ما دفع فرار إباضية هاته المناطق للنزوح إلى وارجلان [4]، لكن وبعد ذلك بزمن أصبحت وارجلان تابعة اسميا للدولة الحمادية، حيث أوفد الناصر بن علناس ابنه المنصور إلى بلد واركلان، وولى عليها وقفل بالغنائم والسبي[5].

لتبرز بعد ذلك الدولة الموحدية التي قامت على فكرة التوحيد، حيث أخذ مؤسسها المهدي بن تومرت يبعث برسله إلى المغرب الأوسط للاضواء تحت دعوته [6]، ومن بين هاته المناطق بعث إلى وارجلان هذا ما أكده الدرجيني أنه أرسل إلى وارجلان أحد دعاة الدعوة المهدية المعروف بالعيتروسي فدعاهم إلى إجابة دعوة المهديين فتشاوروا فيما بينهم يأتون وما يذرون فأجمع رأي أكثرهم على قتله، في حين أشار بعض علمائهم إلى أن يصلوا إلى الفقيه أبي يعقوب السدراتي الذي أشار عليهم وقال لهم بأن هؤلاء لا يخربون بلدهم بل تنالون أيامهم عزا وإقبالا... فأجيبوا دعوتهم تفلحوا"[7].

1 - نفسه، ج2، ص 96.
2 - سالم بن هلال الخروضي : الشيخ العلامة أبو عمار التناوتي، حياته وفكره، ط 1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2003، ص 38.
3 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 412.
4 - سالم بن هلال الخروصي : المرجع السابق، ص 39.
5 - عبد الرحمن بن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص 206.
6 - المراكشي : المصدر السابق، مج1، ص 435.
7 - الدرجين : المصدر السابق، ج2، ص ص 93، 94.

_ العلاقات التجارية:

وبالرغم من حالة اللاستقرار التي عرفتها بلدان المغرب الإسلامي، إلا أن هذا لم ينف وجود علاقات تجارية مع بعضها البعض، ولقد عدت وارجلان وتواحيها بمثابة نقطة تجمع وانطلاق لإحدى طرق التجارة الهامة عبر الصحراء [1]، بفضل موقعها الممتاز بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، عند ملتقى عدد من الطرق التي تنطلق منها، وتمر بها بين سجلماسة، وتمبكو، وغانة، وتوات، وغرداية، وتلمسان، والجريد، ووادي سوف، وغدامس، وواحة سيوة [2]، وأريغ، فقد كان الطريق الرابط بين وارجلان، وتيهرت مارا بالمسيلة مستعملا منذ القرن الثاني هجري، ورغم أنه فقد أهميته بسقوط الدولة الرستمية [3]، الرستمية [3]، إلا أنه انتعش على عهد البكري إذ يقول: "بأنه أقيم في المدينة الأسواق العامرة، والفنادق لإقامة التجار، كان ذلك بعد استتباب الأمن بها [4]، اما الطريق الثاني فقد تمثل فيما بين وارجلان، وجبل نفوسة مسيرته إثنتا عشر مرحلة، بحيث يمر على أسوف متجها إلى نفزاوة، ومنها إلى جبل نفوسة[5]، وهو الطريق الذي مر به أحد شيوخ الإباضية أبا يعقوب يوسف بن الوالي صحبة قافلة تجارية[6]. وبين وارجلان والقيروان يذكر البكري البكري طريقا يمر ببلاد الزاب، بحيث ينطلق من وارجلان إلى الزاب، ويمر بواحة وغلان، ووادي ريغ متجها إلى نقطة هذا من جهة الشرق، أما من جهة الغرب فقد انتظم طريق القوافل من سلجماسة إلى وارجلان والقيروان، وأبرز طريق من سلجماتة يمر بتغارا متجها إلى أودغشت بحيث يلتقي بالطرق الصحراوية القادمة من وارجلان وبلاد الجريد [7]، الجريد [7]، كما شكلت تلمسان معبرا مهما بموقعها في أول الصحراء على الطريق إلى سلجماسة ووارکلان وغيرها من بلاد الصحراء[8]، أما من جهة الشمال فنجد مسلك يتصل

1 - عبد القادر زبادية : ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري في الأصالة، المرجع السابق، العدد 42، ص 144.
2 - إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 159.
3 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 132.
4 - البكري: المصدر السابق، ص 28.
5 - دحماني سعيد : الخريطة الجغرافية للصحراء في القرون الوسطى من خلال بعض كتب الرحالة من كتاب: طريق القوافل، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، باتنة، 2001، ص 60.
6 - أبو زكريا يحي : المصدر السابق، ص 330.
7 - إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 82.
8 - عمار غرائسة : المرجع السابق، ص 186.

بجزائر بني مزغنة، بجاية، سكيكدة، مستغانم، مستغانم، منطلقا من وارجلان وإليها [1]. ولقد اجتازت هذه الطرق ساحل البحر لتصل إلى الأندلس فكانت القوافل غادية رائحة [2] بين طريقين أساسين أولهما بري يصل إلى الأندلس عن طريق طنجة وسبتة عبر مضيق جبل طارق، والطريق الثاني بحري يربط بين موانئ المغرب الأوسط، وموانئ الأندلس[3].

وفي جميع هذه الطرق كانت القوافل تنقل إلى وارجلان منتجاتها من أواني نحاسية ومنتجات الحديد والزجاج والمقتطفات المرجانية، والعطور، والتمور، والتين المجفف، والمنسوجات القطنية والحريرية، والقمح والملح، والجلود المدبوغة، والحلي، والحلي، والخيول، لتنقلها إلى الجنوب [4]، ومن وارجلان تنقل التبر، والنحاس، والحديد، والعاج، وبيض وريش النعام، والجلود، والعسل، القطن، الفول، الصمغ، بالإضافة إلى السواعد البشرية التي كانت الدولة الإسلامية في حاجة إليها كل هاته البضائع كانت تجلبها من بلاد السودان[5].

_ الحركة الثقافية :

لقد كانت الثقافة كثيرا ما تحمل في بضائع التجار، وكان العلم ينتقل مع قوافل التجار أو يمتهن التجارة إلى جانب ما يحمله من علم، فقد واكبت الحركة التجارية حركة فمرية بنفس مستوى النشاط [6]، فكان الاتصال كبيرا بين مثقفي وارجلان، والعالم العربي الإسلامي[7]، بما فيه القيروان وفاس وسلمجاسة، والأندلس، فلقد عبرت هاته العلاقة عن اهم مظاهر الثراء الفكري[8]، فلقد انتقل العديد من العلماء بين هاته المناطق التي حواها المغرب الإسلامي من أجل الأخذ بالعلم الوافر، والبحث عن الاستزادة، حيث ذكرت مراجع الإباضية جملة من العلماء منهم أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (4هـ/10م) الذي

1 - عبد القادر زيادية : ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري في الأصالة، المرجع السابق، العدد 42، ص ص 142، 143.
2 - محمد الطمار : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 95.
3 - جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق، ص 153.
4 - إسماعيل العربي : المرجع السابق، ص 160.
5 - الماحي عبد الرحمان عمر : مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط، من كتاب طريق القوافل، المرجع السابق، ص 67.
6 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 383.
7 - محمد الطمار : المرجع السابق، ص 98.
8 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 392.

سافر من جبل نفوسة إلى القيروان، ليأخذ العلم من عدد من أعلامها، ويدرس اللغة العربية[1]، ثم انتقل إلى الحامة من أجل التزود بعلم الكلام، ومنها إلى جربة [2]، وكان دائم التنقل والزيارات إلى وارجلان[3]، وهذا أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الوارجلاني القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، ارتحل من وارجلان قاصدا طرابلس سنة 460هـ/1067م لأخذ العلم عن شيخه أبو الربيع بن يخلف المزاتي [4]، وكذلك أبو عمر عثمان بن خليفة المازغني السوفي القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، كما تلقى أبو عمار عبد الكافي العلوم العقلية ونبغ فيها بتونس[5]، خلال نفس القرن، ولقد كان الشيخ أبو عبد الله بن بكر النفوسي ينتقل إلى وارجلان للإشراف على أمور الدعوة، وفيها كان يزوره العديد من العلماء للإستفادة من علمه، وذلك ما ذكره الدرجيني [6]، على أن العديد من إباضية إفريقية وجبل نقوسة يأتون وارجلان لأخذ الفتوى وبالمقابل فقد كان علماء وارجلان هم كذلك يقومون بزيارات جماعية لإخوانهم في المناطق الإباضية الأخرى، وما دل على ذلك هو ترأس الشيخ عمران بن زيري لجماعة من أهل وارجلان عند ذهابهم إلى جربة [7]، جربة [7]، أما نحو سجلماسة فقذ ذكر جودت عبد الكريم يوسف بحديثة عن العلاقات الإباضية الخارجية بأنه قد ظهر إلى جانب الأمراء الإباضيين في سجلماسة جماعة تعتنق المذهب الإباضي، وهذا ما يدل على انتقال الإباضية إلى تلك المنطقة ربما لنشر المذهب[8]، المذهب [8]، وقد تحدث عن أولئك الذين من بينهم ابن الجمعي، وأبو الربيع سليمان بن زرقون اللذان أقبلا من بلاد الشرق إلى تيهرت، ومنها إلى سجلماسة فكانا من العلماء التجار الذين ربطوا سجلماسة بوارجلان برباط ثقافي [9]، وهذا ما دل على على توثق العلاقة بينهما بانتظام طريق القوافل [10]، وهو ما دل أيضا على دور التجار في النهوض بالحياة الثقافية، فقد حكى أبو محمد عبد الله اللواتي أن رجل قال له تركت كتابا في تفسير القرآن ينادى عليه بالبيع في السوق فسافر من موطنه، ولاهم له إلا الكتاب المذكور، واخذ

1 - تاديوس ليفتسكي : المرجع السابق، ص 60.
2 - إبراهيم أبو يقضان : المصدر السابق، ص 8.
3 - أبو زكريا يحي : المصدر السابق، (مخطوط)، ص 26.
4 - تاديوس لفتسكي : المرجع السابق، ص 135.
5 - نفسه : ص ص 70-71.
6 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 114.
7 - الشماخي : المصدر السابق، ص 347.
8 - جودت عبد الكريم : المرجع السابق، ص 230.
9 - نفسه : ص 223.
10 - الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 302.

معه سلعة لأنه كان تاجرا كان ذلك في القرن الخامس هجري الخامس ميلادي [1]، وكان لبلاد الأندلس الحظ الوفير في علاقاتها بإباضية المغرب الذين قصدوها للتجارة، وطلب العلم كذلك [2]، فقد رحل أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الذي كان مثالا للنبوغ النادر، والإطلاع الواسع، والعلم الغزير إلى قرطبة خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي[3]، لدراسة اللغة العربية، والحساب الذي بفضل ذكائه استطاع أن ينهل العديد العديد من العلوم النقلية والعقلية كالرياضيات، والهندسة والمنطق، والحساب، والنحو، والصرف، والبلاغة، ويخبرنا ابن حزم بأنه خلال النصف الأول من القرن الخامس هجري وجد جماعة من الإباضية بقرطبة يبدو أنهم من عامة الناس، سألهم عن إمامهم فلم يجيبوا[4]، ومما لا شك فيه وجود العديد من الأندلسيين في تيهرت، وحواضرها استفادت الدولة من خبرتهم، وكان مرفأ المغرب الأوسط فضلا عن العاصمة تيهرت معبرا لهؤلاء الأندلسيون للخروج إلى قيروان أو المشرق[5].

*** المبحث الثاني : مع بلاد المشرق.**

_ طريق الحج :

أهم ما يميز علاقات إباضية وارجلان بالمشرق هي كثرة تنقلاتهم بين مواطنه، لأغراض عدة إما لطلب العلم أو لتفقد أحوال إخوانهم [6]، أو لأداء فريضة الحج والتي أعتبرت أهم وسيلة ربطت المغرب بالمشرق [7] رغم الصراع الذي طبع علاقة الإباضية بالدولة العباسية بالمشرق، فيحدثنا الدرجيني عن الإمام عبد الوهاب الذي سار يوما متوجها إلى الحج وفي طريقه مر بجبل نفوسة الذين اخبروه عن خوفهم من العباسيين بأن يفتكوا به، فقام الإمام بالإرسال إلى إخوانه بالمشرق يستفتيهم في هذا الأمر فأفتوه بأن يستأجر من يحجج عنه خوفا على حياته [8]، لكن وبالرغم من ذلك لم يمتنع الإباضية من أداء هاته

1 - سليمان بن داود يوسف : حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993، ص 59.
2 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 386.
3 - سليمان بن داود يوسف : المرجع السابق، ص 60.
4 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 387.
5 - نفسه: ص 386.
6 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 119.
7 - الدرجيني : المصدر السابق، ج2، ص 325.
8 - الدرجيني : المصدر السابق، ج1، ص ص 66، 67.

الفريضة التي إلى جانب ذلك هي فرصة لالتقاء الإباضية بإخوانهم بحيث كانوا يمرون في طريقهم بإخوانهم في بلاد الجريد، وجبل نفوسة، ومصر وعمان [1]، فلقد تحدث الإدريسي عن أناس كانوا يتجولون بين مصر ووارجلان قائلا: "وأهل هذه المدينة يتجولون حتى ينتهوا من جهة المشرق إلى بلاد مصر، وينصرفون فيصلون إلى بلاد وارقلان وسائر بلاد المغرب [2]، وكان الحجاج القادمين من بلاد لمغرب ينصبون خياما لهم تعرف باسم مضارب محبوب يجتمع الإباضية فيها من كل حدب وصوب مستغلين فرصة الحج لبث دعوتهم فكانت تلك الخيام بمثابة مدارس متنقلة لنشر المذهب. ومما دل على تنقل اهل وارجلان إلى المشرق في موسم الحج وما كان يعانيه هؤلاء من مشاق السفر، والطريق ما وصفه العالم الوارجلاني يعقوب بن يوسف إبراهيم المتوفى القرن السادس هجري الحادي عشر ميلادي، في قصيدته الحجازية التي دون فها رحلته إلى الحج وعودته سالما إلى موطن وارجلان[3]، التي نشر فيها ما أخذه من العواصم العلمية بالمشرق.

_ حملة العلم :

كما كان إباضية وارجلان وغيرهم من مناطق أخرى يتواصلون فيما بينهم لمعرفة أمور دينهم، فيذكر الوارجلاني بأن الشيخ أبي صالح جنون بن يمريان أرسل إلى الشيخ أبي حرز أثناء إقامته بمصر يطلب منه الكتابة له في مسائل يجهلها الناس [4]، أما عن وجود المشارقة الإباضية بتيهرت وحواضرها، فكان هروبا من بطش العباسيين، وإلتجاءا إلى إخوانهم في المذهب[5]، جالبين من الحضارة العباسية فتأثرت وأثرت [6]، ولقد بلغ اعتناء إباضية بلاد المغرب بالعلم بأنهم استوردوا كتبا من المشرق كما كانت لهم مدارس وحلقات علم نبغ فيها علماء فطاحل في بلدانهم الشهيرة التي من أهمها وارجلان[7].

*** المبحث الثالث : مع السودان الغربي.**

1 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 120.
2 - الإدريسي: المصدر السابق، ص 25.
3 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 392.
4 - مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 120.
5 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 397.
6 - محمد الطمار : المرجع السابق، ص 95.
7 - سليمان داود يوسف : المرجع السابق، ص 60.

_ العلاقات التجارية :

لقد أطنب الكثير من المؤرخين في النظام الذي اتخذته الدولة الرستمية في أ وارجلان قاعدة كبرى وهمزة وصل لتجمع السلع، وعبورها بين بلدان المغرب وبلاد الودان خاصة[1]، والتي انتقلت عبرها الحضارة العربية الإسلامية عن طريق هاته القوافل التجارية لمدة زمنية تجاوزت العشرة قرون[2].

لقد كان لها الدور الريادي إبان الدولة الرستمية التي كانت تصل إلى مصادر الذهب الأولى بإمبراطورية غانا الوثنية[3]، وظلت هاته العلاقة قائمة بل تطورت أكثر بعد سقوط الدولة الرستمية وبروز وارجلان كوريثة لها [4]. فكما يقول "الإدريسي": "وارجلان فيها قبائل مياسير وتجدار أغنياء يتجولون في بلاد السودان... يخرجون منها التبر ويضربونه ف بلادهم باسم بلدهم"[5]، وغدت الطرق التي كانت تسلكها التجارة بالسلع حاملة آثار شعوبها طرق تبادل حضاري وتفاعل ثقافي، وأصبحت من المحطات التي قامت على هذه الطرق مدنا مهمة لا من حيث الازدهار التجاري المادي فحسب، بل من حيث التلاقي والتلاقح الحضاري أيضا[6].

_ الأثر الثقافي :

فقد كان التجار يقومون إلى جانب أعمالهم التجارية للدعوة إلى الإسلام [7] لحد أصبح من العسير الفصل بين التجارة والدعوة لأنه غالبا ما كان يجمع الدوران في رجل واحد، فهؤلاء الإباضية كما يجزم ليفتسكي: "كانوا يسافرون إلى بلاد السودان ويتحملون مشقة هذا السفر ليس فقط من اجل الدوافع الاقتصادية وإنما كانوا يفعلون ذلك لدوافع دينية تبليغية تتصل بالدعوة إلى الإسلام، بحيث كون التجار أحياءا خاصة بهم أقاموا فيها مساجد ومدارس لتعليم القرآن وترأسوا حلقات الدرس والتعليم إلى جانب نشاطهم التجاري مما

1 - نفسه : ص 62.
2 - الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 299.
3 - جودت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق، ص 266
4 - محمد الطمار : المرجع السابق، ص 97.
5 - الإدريسي : المصدر السابق، ص 17.
6 - محمد الطمار : المرجع السابق، ص 97.
7 - محمد صالح ناصر : دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، دار العمانية للنشر والتوزيع، 1992، ص 30.

ساعد على نشر الإسلام والثقافة العربية [1]، ذلك لأن حرفة التجارة من طبيعتها أن تصل التجار بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع فتحوله إلى الإسلام[2]، لذلك فقد كان التجار الإباضية فضل كبير في نشر الإسلام في جزء من تلك البلاد النائية ووضعوا بذلك البذور الأولى لحركة إنتشار هذا الدين ببلاد السودان[3].

ولقد تغلغل الفكر الإباضي في بلادالسودان بين سكانها المقيمين هذا ما أكده الرحالة المغربي ابن بطوطة (754هـ/1353م)، عندما تجول في إمبراطورية مالي ووجد من بين سكانها من هو على المذهب الإباضي، وهذا ما يؤكد أنهم من وارجلان لكون المذهب الإباضي كان سائدا في تلك المناطق [4] التي وفدوا إليها عن طريق التجارة فسكنوها فتزوجوا من أهلها[5] فاختلطوا مع الزنوج في مراكز التجارة السودانية[6].

كما تشير بعض الكتب إلى وجود قرى عديدة تعتنق الإباضية في السودان والدليل على ذلك ما أثبته الأستاذ شاخت الذي لاحظ في مساجد بعض تلك الأقوام وجود هندسات مشابهة تماما لما عند إباضية وارجلان ووادي ميزاب كالمحراب المستطيل الشكل، والمئذنه ذات الشكل المستطيل المخروطي إضافة إلى ظاهرة فريدة عند الإباضية وجدها مماثلة في بعض مساجد السودان وهي عدم وجود المنبر في المسجد [7]، وهو الأثر الأكثر لفتا للنظر فغياب المنبر في المساجد لا يفسر غلا بتأثير خارجي[8]، فالإباضية لم ينقلوا هذا هذا الفن المعماري المتميز الأصيل إلى غرب إفريقيا وحسب، بل إنهم نقلوا إلى جانبه حضاراتهم وثقافتهم وفكرهم، وكل مميزاتهم العقائدية والأخلاقية[9].

_ الأثر الثقافي :

1 - محمد البخاري حمودة : إنتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء، تنبكت، غدامس أنموذجا، (7-11هـ / 13-17م)، مطبة الشركة العامة للورق والطباعة، (د.م.ن)، 2004، ص 113.
2 - حسن إبراهيم حسن : إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 1963، ص 73.
3 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 389.
4 - أحمد ذكار : المرجع السابق، ص 57.
5 - محمد البخاري حمودة : المرجع السابق، ص 132.
6 - صباح إبراهيم الشيخلي : النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن 5 هـ من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، المرجع السابق، ص 44.
7 - إبراهيم بن بكيز : المرجع السابق، ص 389.
8 - محمد صالح ناصر : المرجع السابق، ص 56.
9 - نفسه : ص 59.

ومن الآثار الثقافية والفكرية التي خلفتها العلاقة الاقتصادية والتجارية بالسودان ظاهرة التعريب أو التأثير اللغوي الذي تكون بفعل الاحتكاك الدائم والمستمر فظهرت لغات مزيجة كلغة الآزر، وهي لغة الوكلات التجارية للذهب والرقيق في نطاق الساحل الإفريقي، وقد استعارت قوامها من العربية والبربرية واللغات الإفريقية المحلية[1].

لقد كان لتجار وارجلان الوافدين منها إلى بلاد السودان الدور الأساس في إخراج تلك القبائل السودانية البدائية من عزلتها الثقافية وانفتاحها على العالم الخارجي الذي تجاوز وارجلان، وبلدان المغرب ليصل حتى أوربا بما كانت تجمع من سلع في وارجلان لتوزع بين بلاد السودان تارة وأوربا تارة أخرى[2].

ومما سبق طرحه نستنتج أن وارجلان كغيرها من الحواضر التي عاصرتها، المستقرة في مناطق على أطراف الصحراء استطاعت أن تؤثر وتتأثر بغيرها من المناطق التي كانت لها بها علاقات خارجية، ذلك أن الإباضية كغيرهم من المسلمين كانوا أصحاب دعوة حضارية، جمعوا بين التجارة والدعوة فاستثمروا تجارتهم لنقل منتوجاتهم الفكرية وثقافتهم التي مثلت جزءا من منتوجاتهم والإسلام عامة، والمغاربي على وجه الخصوص.

1 - إبراهيم بن بكير بحاز : المرجع السابق، ص 390.
2 - سلمان داود بن يوسف : المرجع السابق، ص 62.

الخاتمـة

عدت وارجلان من أهم الحواضر الصحراوية التي برزت بقوة خلال العصر الوسيط،ومثلت مركزا هاما للتأثير والتأثر الحضاري، الذي انعكس على جميع مجالات الحياة.وقد تجلى ذلك من خلال :

- موقعها الاستراتيجي الذي فازت به، جعلها محط أنظار الدويلات التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي، فاتخذها الإباضية منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي كحاضرة مرتبطة بالدولة الرستمية أولا، ثم وريثتها بعد سقوطها.
- توفر وارجلان على منتوج زراعي هام تمثل في التمور التي عدت من أجود الأنواع كان ذلك بفضل مخزونها الهائل من المياه الجوفية.
- لقد أبدع الإنسان الوارجلاني في الجانب الصناعي رغم شح المواد الأولية المساعدة على ذلك، واستطاع أن يتكيف مع ما توفرت له محليا من الصوف والنخيل.
- كانت وارجلان منطقة عبور لذلك حظت بأكبر سوق تجارية تتجمع فيها مختلف البضائع القادمة إليها من مناطق شتى جعلت بها حركة تجارية نشيطة.
- كانت وارجلان منطقة القوافل التجارية إلى المناطق الأخرى خاصة منها ما بين الشمال والجنوب، لذلك كان لنظام القوافل الأهمية البالغة حرصا على السير الحسن للرحلة التجارية.
- استطاعت وارجلان أن تواصل الحركة العلمية بعد سقوط الدولة الرستمية ذلك بالمحافظة على المذهب الإباضي.
- أهم ما ميز الحركة العلمية بها ظهور نظام جديد يتماشى ومرحلة الكتمان عند الإباضية في وارجلان، ساهم هذا النظام في تنظيم مختلف جوانب الحياة وهو ما يعرف بنظام العزابة.
- كان لوارجلان دور كبير في إثراء الحركة العلمية بفضل إنجابها نخبة من العلماء الفطاحل الذين برزوا في مختلف العلوم والتآليف.

- إن الإباضية كغيرهم من المسلمين كانوا أصحاب دعوة حضارية جمعوا بين لتجارة والدعوة فاستثمروا تجارتهم لنقل منتوجهم الفكري والثقافي الذي مثل جزء من منتوجهم الإسلامي عامة والمغاربي على وجه الخصوص.
- ساهمت وارجلان كونها مركز تجاري في ربط مختلف الجهات بعلاقات اقتصادية واجتماعية وثقافية، لذلك عدت همزة وصل بين مختلف هاته الجهات.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في طرحنا المتواضع للموضوع ، ونرجوا أن نكون قد ساهمنا من خلال هاته الدراسة ولو بقليل في تسليط الضوء على فتره من فترات التاريخ الوارجلاني.

الملحق رقم 01 : وارجلان والمراكز المحيطة بها .

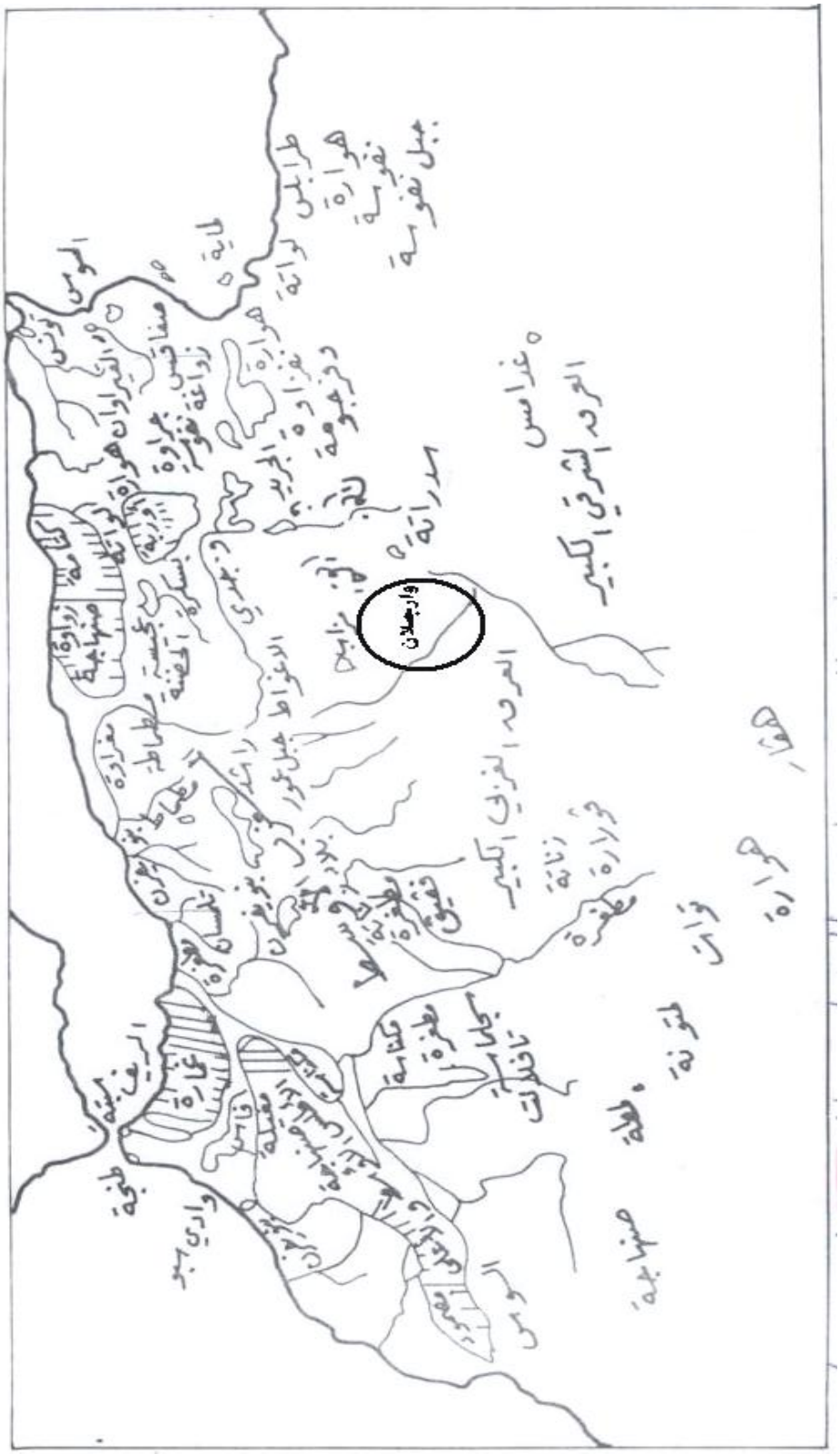

محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص 312 (بتصرف).

الملحق رقم 02 : نباتات صحراوية (الأثل) .

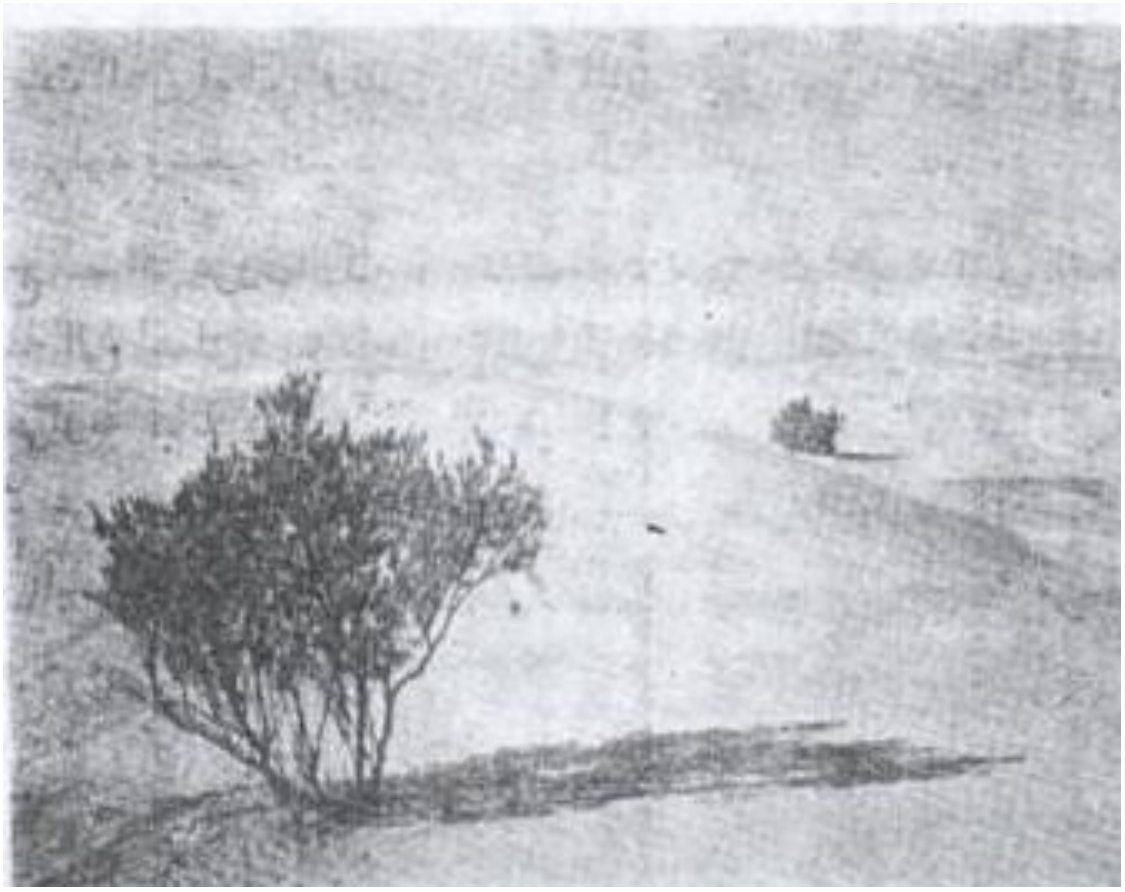

حليمي عبد القادر: المرجع السابق، ص 89.

الملحق رقم 03 : واحة بوارجلان يلاحظ فيها نخيل دقلة نور .

حليمي عبد القادر: المرجع السابق، ص 201 (بتصرف).

الملحق رقم 04 : قطيع من الماعز بإقليم وارجلان .

حليمي عبد القادر: المرجع السابق، ص 220 (بتصرف).

الملحق رقم 05 : بعض مصنوعات النخيل .

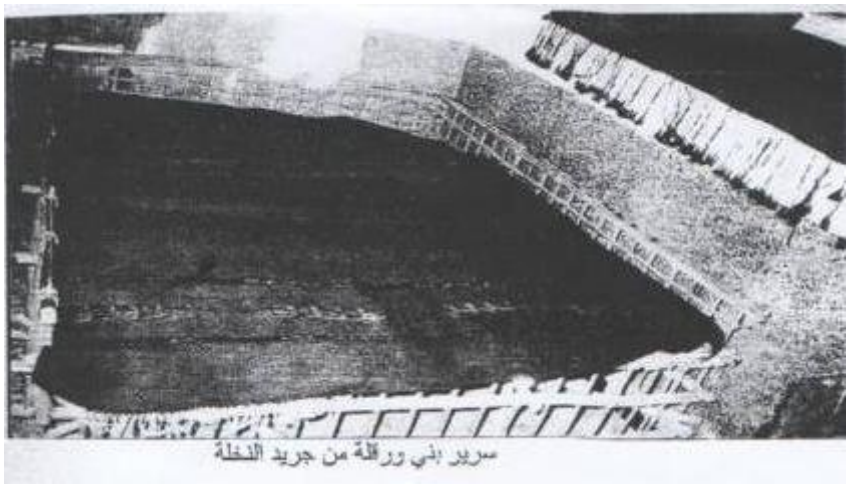

سرير إلى ورقلة من جريد النخلة

عبد الرحمان حاجي: المرجع السابق، ص 218.

الملحق رقم 06 : صناعات تقليدية .

مضخة للمطبخ

مروحة من ريش النعام

سبحة من صمن

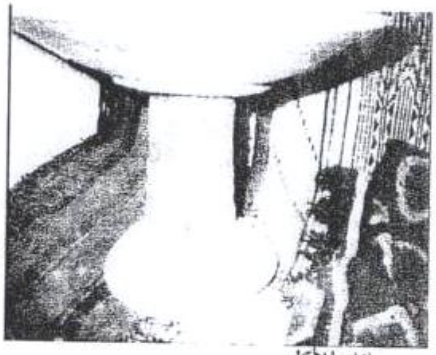

إناء للأكل

عبد الرحمان حاجي: المرجع السابق، ص 219.

الملحق رقم 07 : المسالك التجارية الرابطة بين وارجلان وغيرها .

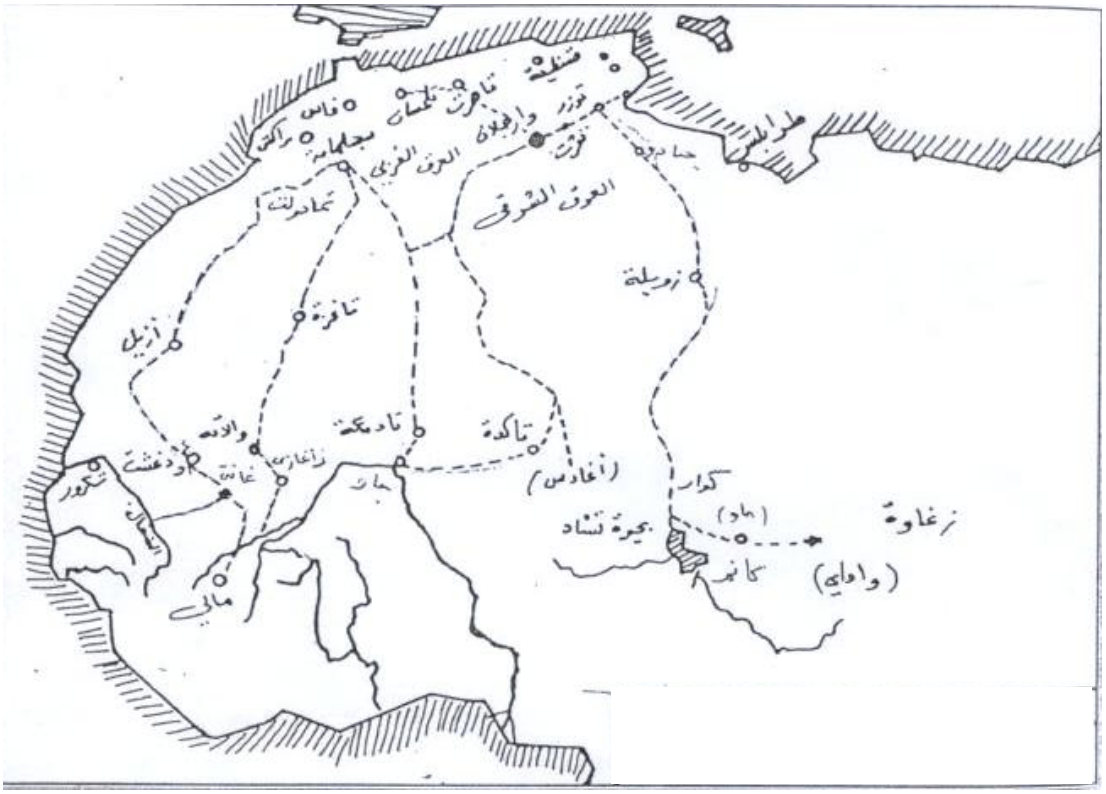

عمر سليمان بوعصبانة: **معالم الحضارة**، ص 201.

الملحق رقم 08 : صور لمدئذنة مسجد إباضي بوارجلان كان مركزا للعبادة والتحصيل العلمي .

إلياس بن عمر الحاج عيسى: المرجع السابق، ص 195.

الملحق رقم 09 : صور لأحد أسوار سدراتة وفي الأسفل قصر وارجلان .

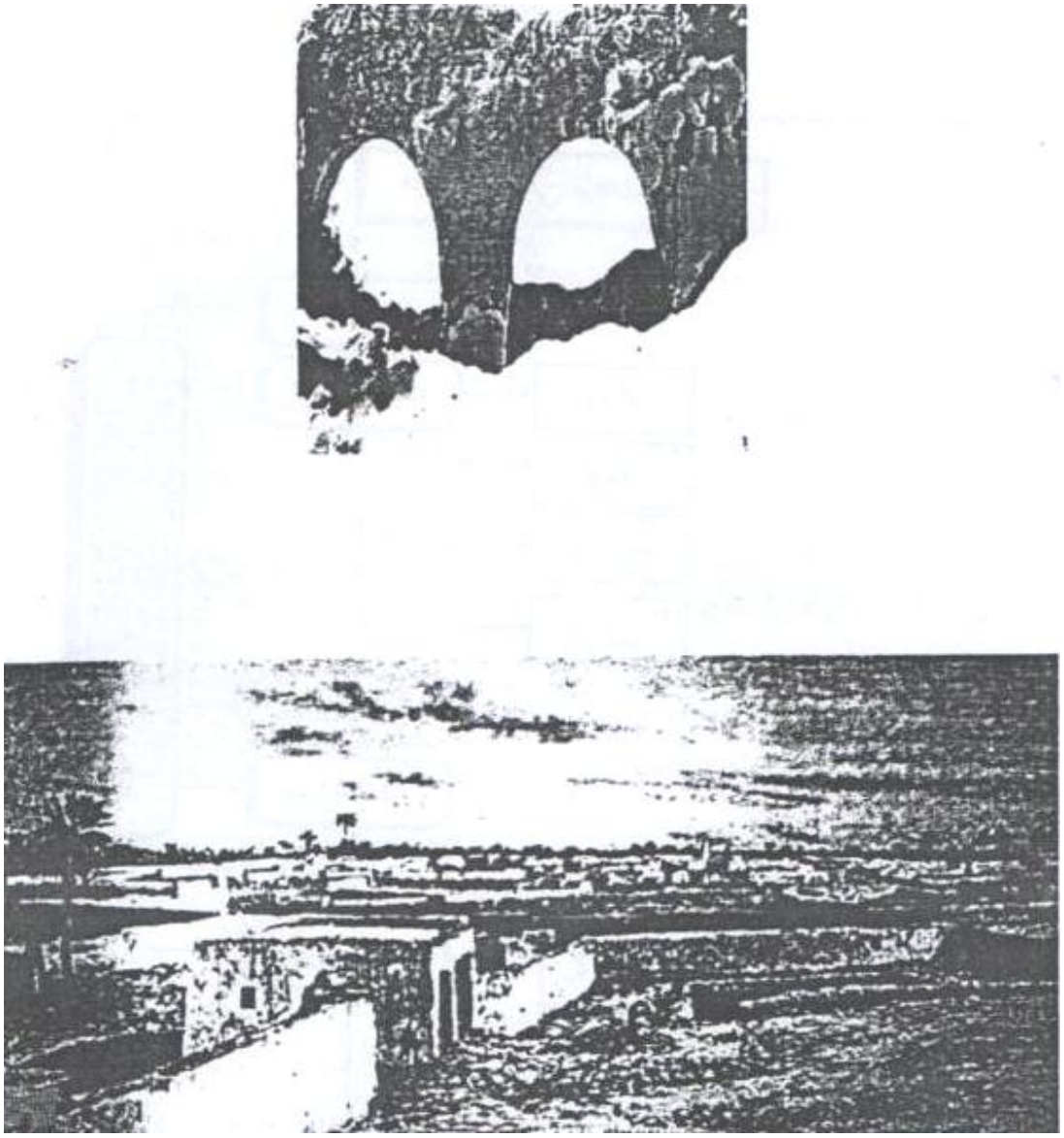

إلياس بن عمر الحاج عيسى: المرجع السابق، ص 193.

الملحق رقم 10 : التركيب الهيكلي لحلقة العزابة .

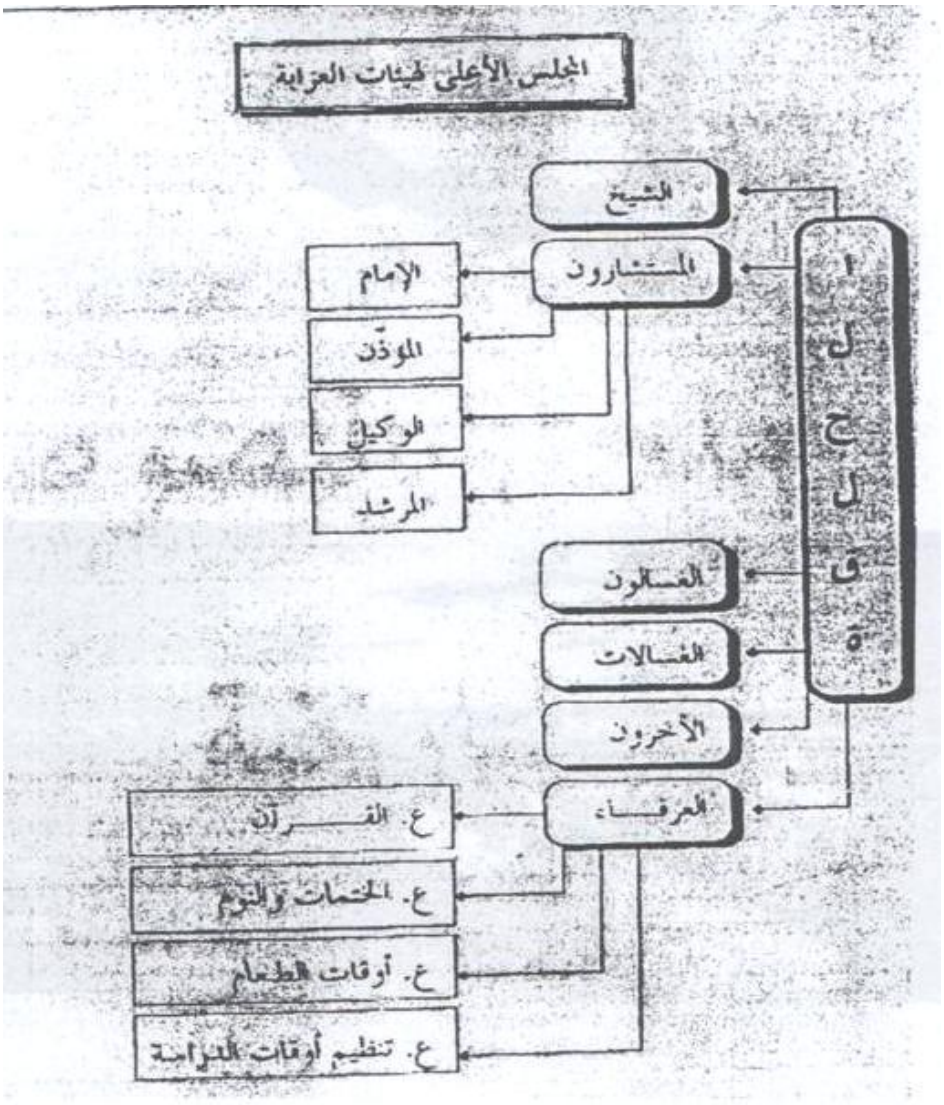

أسماوي: العزابة ودورهم، المرجع السابق، ص 448.

الملحق رقم 11 : نص روايات أبي صالح جنون بن يمريان .

أبو الربيع الوسياني: المصدر السابق (مخ)، ص 60.

الملحق رقم 12 : نص من كتاب السؤالات يبين فضل بسم الله الرحمان الرحيم .

أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي: **كتاب السؤالات**، مخطوط موجود بمكتبة أبي إسحاق إبراهيم أطفيض، غرداية، ص 2.

الملحق رقم 13 : مخطوط يبين سكان ورجلان قديما .

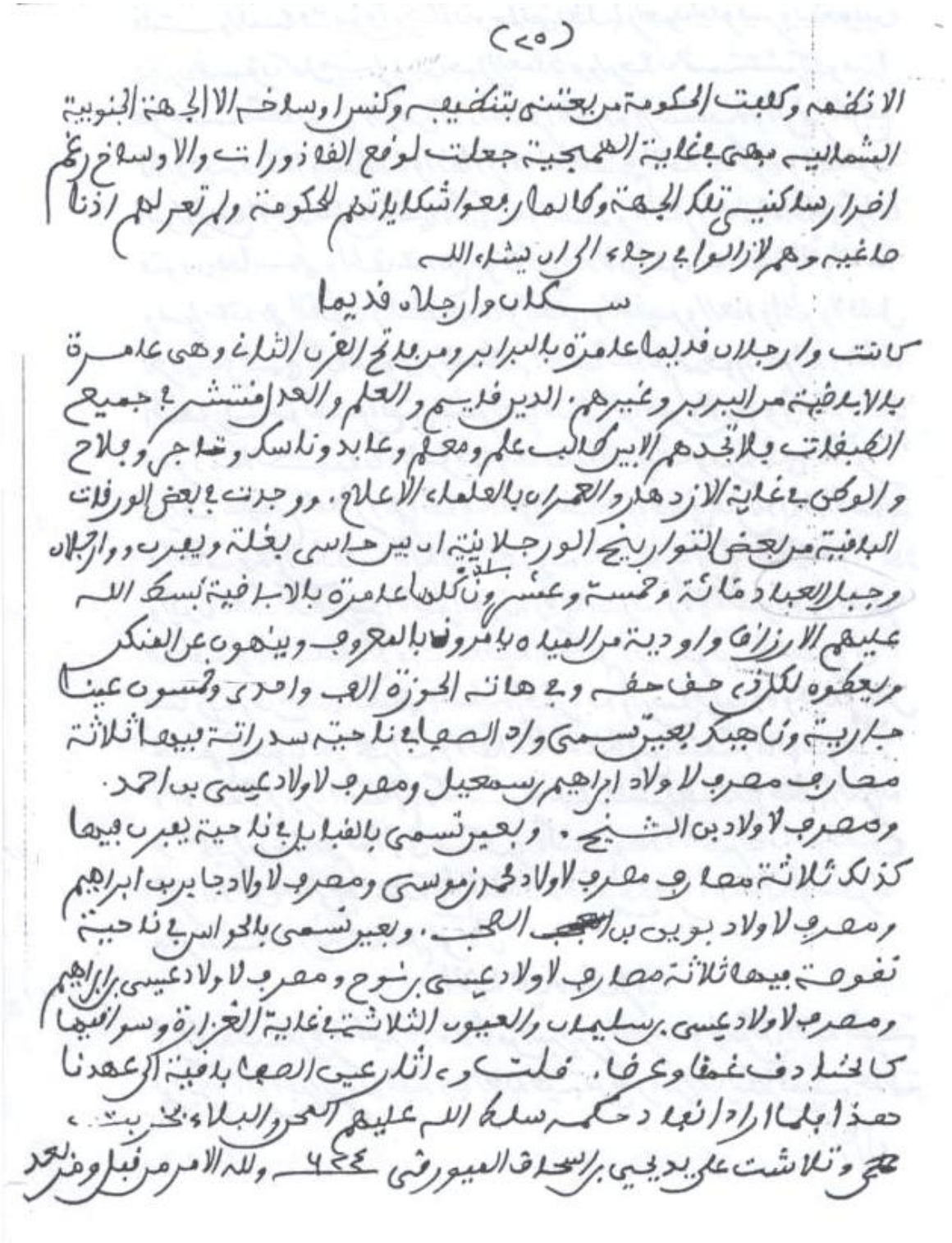

(٢٥)

الانظمة وكلفت الحكومة من يعتني بتنظيفه وكنسه وساخ الا الجهة الجنوبية الشمالية فهي بغاية العلمجية جعلت لوضع الفاذورات والاوساخ رغم اضرار ساكنيي تلك الجهة وكالعادة بعواشكاياتهم الحكومة ولم تعر لهم اذنا صاغية وهم لازالوا بهذا الرجاء الى ان يشاء الله

سكان وارجلان قديما

كانت وارجلان قديما عامرة بالبرابر ومن بلاتح القرن الثاني وهي عامرة بالاباضية من البربر وغيرهم. الدين فالعلم والعلم والعدل منتشر في جميع الطبقات وبالاخص هم الابين كالب علم ومعلم وعابد وناسك وتاجر وفلاح والوكن بغاية الازدهار والعمران بالعلماء الاعلام. ووجدت في بعض الورقات البادية من بعض التواريخ الورجلانية ان بين هاسي بغلة ويقرن ووارجلان وجبل العباد مائة وخمسة وعشرون كلها عامرة بالاباضية بسكنى الله عليهم الارزاق والوديان من الميادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعطون لكل ذي حق حقه وفي هاته الحوزة الف واحدى وخمسون عينا جارية وناهيك بعين تسمى واد الصفا في ناحية سدراتة فيها ثلاثة مصارف مصرف لاولاد ابراهيم سمعيل ومصرف لاولاد عيسى بن احمد. ومصرف لاولاد بن الشيخ. وبعين تسمى بالقبايل في ناحية يقرن فيها كذلك ثلاثة مصارف مصرف لاولاد محمد موسى ومصرف لاولاد جابر بن ابراهيم ومصرف لاولاد بوبين بن [illegible] الحب. وبعين تسمى بالحواس في ناحية تفوحت فيها ثلاثة مصارف لاولاد عيسى بن نوح ومصرف لاولاد عيسى بن ابراهيم ومصرف لاولاد عيسى بن سليمان والعيون الثلاثة في غاية الغزارة وسواقيها كالحسام غمقا وعرقا. قلت وقد اتلاعين الصفا باقية الى عهدنا هذا بلما اراد انهاد حكمه سلط الله عليهم الحرق والبلاء بحق بيت حجي وتلاشت على يد يحيى بن الحاج العيور في [illegible] ولله الامر من قبل ومن بعد

أعزام الشيخ إبراهيم بن صالح: المصدر السابق، (مخ)، ص 75.

الملحق رقم 14 : مخطوط يبين جواب عبد الكافي لأبي يعقوب .

أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني: **جواب عبد الكافي بن أبي يعقوب عما اختلف فيه المتكلمون**، (مخ)،المصدر السابق، ص 2.

الملحق رقم 15 : مخطوط يبين شروط الالتحاق بحلقة العزابة .

أبو عمار عبد الكافي الوارجلاني: **سير أبي عمار**، (مخ)، ص 8.

الملحق رقم 16 : القصيدة الحجازية .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

هذه المنظومة حجازية عمنا العلامة أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني رحمه الله ورضي عنه ونفعنا بعلومه آمين

عزيز عزيز من دواة المعاجم ... دواة العيون النجل بيض المعاجم

دواة الشباب اللعس بالكحل واللما ... غ ايرخ في الصنع سود الغرايم

نواعم لم يعرفن ما بؤس عيشة ... كوابس بالاطلال مثل الجآذر

بدمع عند ربات الجمال وذكرها ... وعن ذكر الجميع المسافر

خرجنا نؤم الشرف من جيرة ارجلان ... بفتيان صدق من وجوه العشائر

جميعون جوابون كل تنوفة ... يحار بها هادي الفضا المتصادر

يؤم بنا زهر ويسمو بكره ... ابو تغلب كالصخر جل لنا كصر

بصحابة من خير كل قبيلة ... ولاسيما منها هلال بن عامر

كرام وابناء الكرام وسادة ... كرام البقال والفعلا والمفاخر

ترى مضر الحمراء تفخر وتنتمي ... تشير اليهم بالندا والمفاخر

هم زهرة الدنيا وبهجة اهلها ... وسادة اهل الغرب بادٍ وحاضر

ومغاوة عليا زناتة كلها ... وغيرهم من خير اهل الجزائر

لدى الكعبة البيت الحرام وجوههم ... على فلق خوص العيون ضوامر

جوابل امثال الشياطين بزّن ... ومثل المحايا من حنايا الفناكر

فلا بد تنج الانجم الحمر تتبعها ... بيارين في البيداء قفر البعاير

رحلنا وازمعنا الرحيل ركابنا ... الى عين صولات عجافا لباكر

لبحرين بحر مالح وسكر رملة ... ورمل كامثال البحار الزواخر

ونعم

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، **القصيدة الحجازية**، مخطوط موجود بمكتبة أ. حاج سعيد محمد بغرداية، ص 91.

قائمة المختصرات

(ص) صفحة

(ج) جزء

(مج) مجلد

(و) ولد

(ت) توفي

(م) ميلادي

(هـ) هجري

(ط) طبعة

(تح) تحقيق

(تع) تعليق

(تص) تصحيح

(تر) ترجمة

(د س ن) دون سنة إنشاء

(د م ن) دون مكان نشر

(O P-C I T) مرجع سابق